جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

(الجزائر)

كلية الآداب واللغات **قسم اللغة والأدب العربي**

عنوان المذكرة:

العوامل الحجاجية في سور الحواميم من القرآن الكريم

مذكرة مقدمة لإتمام إجراءات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي تخصص لسانيات عامة

إعداد الطالبتين :

☜ حنان وصيف خالد

☜ فوزيــة نيـــــــد

إشـــــــراف :

أ. د- لزهر كرشو

لجنة المناقشة:

د-عبد العزيز بن هنية	جامعة حمه لخضر الوادي	رئيســا
أ.د- لزهــر كرشــو	جامعة حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا
د- عبد الرؤوف عباس	جامعة حمه لخضر الوادي	منـاقشـا

السنة الجامعية: 2023/2022- 1444/1443

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢
كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ
يَعۡلَمُونَ ٣﴾ [فُصِّلَت :3]

إهـــــداء

الى من بفقدهم فقدت طعم الحياة ،الى روح من علماني أن الحياة كفاح وان العلم سلاح، إلى روح والدي عليهما رحمة الله .الى من جمعني القدر به وتحمل تقصيري وكان دائما دعما لي ؛إلى رفيق دربي زوجي حفظه الله واطال في عمره .الى زهور حياتي الى فلذات كبدي أبنائي الاحباب محمد العربي تسنيم والكتكوتة نور الايمان .

الى قناديل حياتي ومنبع العطف والحب بعد امي اخواتي الكريمات حفظهن لله ورعاهن سعدية ،سليمة ،نجوى سهيلة ،زكية وأبنائهن جميعا .

الى سندي في الحياة ، من استشعر فيهم طيبة والدي اخوتي الكرام محمد البشير، محمد الطيب ،عبد اللطيف ،وصلاح الدين حفظهم الله وابناء هم جميعا.

الى من وفر لي الجو الملائم لأوفق بين العمل والدراسة الى الطاقم الإداري والتربوي بمدرسة فرحات محمد الرقيبة وعلى رأسهم السيدة المديرة .

الى من واصلت معها العمل طوال سنتين من الدراسة زميلتي فوزية نيد الى كل اصدقائي وزملائي الذين جمعتني بهم الدراسة والى كل من يعرف حنان أهديكم جميعا ثمرة جهدي .

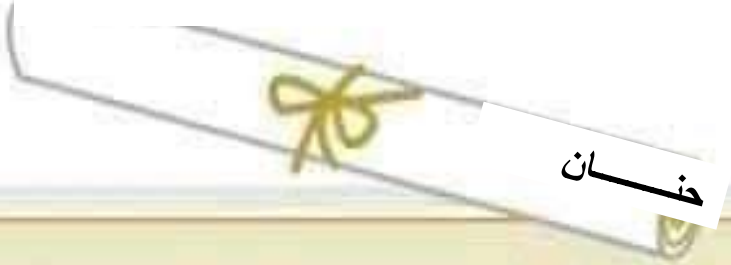

إهداء

إلى من غرس في قلبي روح التحدي و علمني معنى الصبر وقت الصعاب،
إلى من تعب من أجلنا ليرانا في أعلى المراتب ، أبي الغالي رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنانه.

إلى رمز الدفء المتجدد، و نبع الحنان المتدفق ، إلى من كان دعاؤها سر نجاحي ،

إلى التي لم تدخر جهدا في سبيل إسعادنا، أمي الغالية أطال الله في عمرها

و أمدها بالصحة و العافية

إلى روح أخوي الغاليين الذين برحيلهما تركا فراغا كبيرا في حياتي،

رحمهما الله و أسكنهما فسيح جنانه.

إلى كل أفراد عائلتي الكريمة التي ساندتني ولا تزال: أختي وإخوتي ،

إلى من اعتبرهم قطعة من قلبي أبناء وبنات إخوتي الغالين

إلى زملائي و زميلاتي ، إلى كل من وقف بجانبي و ساندي ولو بكلمة .

أهدي عملي هذا.

فوزية

شهادة شكر وتقدير

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا ، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه

والشكر له على توفيقنا في اظهار هذا البحث إلى حيز الوجود

والصلاة والسلام على صفوة خلقه محمد ﷺ خاتم النبيين وبعد:

نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور لزهر كرشو على كل ما قدمه لنا من توجيهات ومعلومات قيمة ساعدتنا في إثراء موضوع دراستنا

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، ولا ننسى تقديم الشكر الجزيل لكل الأساتذة المحترمين والأستاذات المحترمات بجامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي نقول لكم شكرا جزيلا على مجهوداتكم.

ونشكر كل من أسدى لنا نصيحة أو قدم لنا معلومة تكمل هذا البحث، وجعلها الله في ميزان حسناتهم جميعا.

مقدمـــــــــــــة

مقدمة

يعد الحجاج طبيعة إنسانية ، لأن الإنسان في تعاملاته مع بني جنسه يهدف إلى إقناع الآخر بأفكاره و حمله على الإذعان.

والحجاج موضوع قديم حديث، قديم قدم وعي وتفكير الإنسان وفلسفته، و حديث كونه تشبع بالمفاهيم التي توصلت إليها البحوث اللسانية والتداولية الحديثة، وهو عبارة عن مجموعة من الأساليب و الآليات التي تتوفر في الخطاب فتحمل المتلقي على الإقتناع بما يطرح عليه من قضايا.

ولأن الخطاب القرآني جاء ردا على خطابات أخرى تتضمن اعتقادات فاسدة ، ويطرح طرحا أساسيا ألا وهو عقيدة التوحيد ، لذا فهو مليء بالحجج و البراهين والأدلة المدعمة لهذا الطرح، وقد تضمن أرقى أساليب الحجاج الخطابية التي تناسب مختلف مستويات البشر وطبقاتهم، إلى درجة أن كل طبقة تحس أنها المعنية بالخطاب.

والخطاب القرآني في جميع سوره بما فيها سور الحواميم (السور المبدوءة بـ:حم) يزخر باللغة الحجاجية، لما يحتويه من مواضيع مختلفة، فهو يعتمد على مجموعة من الآليات الحجاجية، والتي من أبرزها العوامل الحجاجية.

ومن هذا المنطلق كان مسعى بحثنا الكشف عنها في السور الحواميم ومعرفة مدى حجاجيتها، وعليه جاء عنوانه« العوامل الحجاجية في السور الحواميم من القرآن الكريم»، وقد كان سبب اختيارنا له هو السعي إلى فهم القران الكريم أولا ، والخوض في موضوع الحجاج الذي شد انتباهنا ومعرفة آلياته وأساليبه في الخطاب القرآني ثانيا، وكان هدفنا من هذه الدراسة هو محاولة إبراز القيمة الحجاجية والتوجيه الحجاجي للعوامل الحجاجية في هذه السور، وسجل في هذا الصدد بعض الدراسات التي تناولت هذه السور منها رسالة ماجستير بعنوان "الفعل الثلاثي المزيد بحرف في سور الحواميم" دراسة صرفية دلالية،

لانتصار شحاذة حوامدة ، جامعة بنزرت(تونس)، و"الجملة ذات الوظيفة النحوية في سور الحواميم في القرآن الكريم دراسة نحوية دلالية"، لإيمان أحمد رأفت علي عبد الله، جامعة المنصورة (مصر)، و رسالة ماجستير بعنوان : "العلاقات بين المناسبات و مقاصد القرآن في سور الحواميم "،لهداية عبد الرحمان محمد الميثاني، جامعة النجاح فلسطين، لكن لم نعثر –حسب اطلاعنا– على دراسة تناولت هذه السور من الناحية الحجاجية.

وتكمن أهمية دراستنا للعوامل الحجاجية في سور الحواميم ، في دراسة هذه السور دراسة حجاجية، وإبراز دور هذه العوامل في الكشف عن حجاجية اللغة.

وانطلقنا من إشكالية عامة هي: بيان التوجيه الحجاجي العام للعوامل الحجاجية في سور الحواميم ودورها في إبراز الوظيفة الحجاجية للغة.

وقد تفرعت عنها إشكاليات فرعية هي: فيما تتجلى حجاجية الخطاب القرآني؟ ما هي المقاصد الحجاجية للسور الحواميم؟ و ما الدور الذي لعبته العوامل الحجاجية في خدمة مقاصد هذه السور؟ ما مدى و درجة توفر سمات الخطاب الحجاجي في خطاب هذه السور؟

وقد حاولنا الإجابة عن هذه التساؤلات ولو بصفة موجزة بالاعتماد على المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع مواضع العوامل الحجاجية في السور الحواميم، إلى جانب المنهج الوصفي التحليلي حيث وصفنا الحجاج والخطاب الحجاجي ومدونة الدراسة، حللنا واستخلصنا ما أمكن من عوامل و بينا التوجيه الحجاجي لها .

وكانت خطة بحثنا كالتالي:

مقدمة: طرحنا من خلالها توطئة لموضوع البحث ، وذكر سبب اختيارنا له، والإشكالية العامة وما اندرج تحتها من إشكاليات فرعية، والمنهج المتبع.

مدخل: عنوانه **الحجاج المفهوم والمجالات،** تطرقنا فيه إلى مفهوم الحجاج لغة في المعاجم العربية والأجنبية، واصطلاحا في المصطلحين الغربي والعربي قديما وحديثا، ثم تعريف الخطاب الحجاجي وسماته، وبعدها العوامل الحجاجية ووظيفتها، وفي الأخير عرفنا القرآن والخطاب القرآني وحجاجيته وخصائص الحجاج القرآني .

الفصل الأول: المعنون **بسور الحواميم التعريف والمقاصد،** عرضنا فيه التعريف بالحواميم وأسباب نزولها، ثم تسمياتها وفضلها، فالمقاصد المشتركة لها، وبعدها مقاصد القرآن في الحاميمة الواحدة، ثم العلاقات بين الحواميم :علاقة السورة بالسورة التي بعدها، العلاقة بين فواتح السور وخواتيمها، وفي الأخير تطرقنا إلى النسيج الحجاجي في سور الحواميم من خلال المقاصد المشتركة.

الفصل الثاني: كان عنوانه **عاملية النفي في سور الحواميم،** تحدثنا فيه عن مفهوم النفي لغة واصطلاحا، فأنواعه وتليها أدواته والفروق الوظيفية بينها، ثم دلالاته، وبعدها استخرجنا شواهد عاملية النفي من السور وبينا النتيجة والتوجيه الحجاجي لكل قول منفي وفي آخر الفصل قدمنا حوصلة لهذه العاملية.

الفصل الثالث: خصصنا هذا الفصل **لعاملية الشرط في سور الحواميم،** عرفنا فيه الشرط لغة واصطلاحا، وبينا أنواعه، وأدواته، وبعدها حجاجية الشرط في سور الحواميم ذكرنا الآيات المتضمنة للشرط وبينا النتيجة الحجاجية والتوجيه الحجاجي لها، وختمناه بحوصلة حول هذه العاملية.

الفصل الرابع: وهو الأخير، عنوناه **بعاملية القصر في سور الحواميم،** عرفنا فيه القصر لغة واصطلاحا، ثم أنواعه ،تليها أدواته، وبعدها بينا مواضع القصر في السور واستخرجنا النتيجة الحجاجي والتوجيه الحجاجي لها، وفي آخره حوصلة حول هذه العاملية.

خاتمة: رصدنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة والبحث.

واعتمدنا في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: لسان العرب لابن منظور والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، الخواطر السوائح في أسرار الفواتح لابن أبي الأصبع المصري، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم عمر البقاعي، الحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة وتقانة التحليل الحجاجي للخطاب للزهر كرشو الذي استفدنا منه كثيرا في الجانب التطبيقي، والعوامل الحجاجية في اللغة العربية لعز الدين الراجح وغيرها .

كما اعتمدنا على مجموعة من التفاسير أهمها التحرير والتنوير لابن عاشور الذي استفدنا منه الكثير لأنه عند تفسيره للآيات يتطرق حتى إلى الجانب النحوي فيشرح الظاهرة ويفصلها، وكذلك مفاتيح الغيب للرازي لأنه يعطي الدلالة العامة للسورة ثم يفصل في الجزئيات مما ساعدنا في استخلاص النتائج والتوجيهات الحجاجية، إلى جانب صفوة التفاسير للصابوني.

وقد واجهتنا عدة صعوبات أثناء إنجاز العمل منها: تخوفنا من التعامل مع الخطاب القرآني ، وكون موضوع الحجاج واسعا و متشعبا وثريا لا يكفيه الاختصار لمحاولة الالمام به، لكن رغم ذلك فقد بذلنا قصارى جهدنا وحاولنا بكل ما في وسعنا أن نبرز الموضوع بالشكل الذي يقربنا من الإجابة عن الإشكالية المطروحة، ونتمنى أن نكون قد وفقنا في الإلمام بعناصر الموضوع و عرضها عرضا صحيحا.

وفي الختام تجدر الإشارة إلى أن الفضل الكبير في إنجاز هذا البحث يعود إلى موجهنا ومنير دربنا مشرفنا الأستاذ الدكتور "لزهر كرشو" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وارشاداته وتصحيحاته ،فكان متابعا لنا في رحلتنا البحثية من أجل أن يرقى هذا العمل إلى الأحسن فله منا جزيل الشكر والاحترام، ونشكره على مجهوداته معنا وعلى رحابة صدره .

وما توفيقنا إلا بالله سبحانه و تعالى فمن توكل عليه كفاه.

مدخـــل: الحجاج المفهوم والمجالات

أولا- المعنى اللغوي للحجاج:

ثانيا- مفهوم الحجاج اصطلاحا

ثالثا- الحجاج والخطاب الحجاجي

رابعا- العوامل الحجاجية

خامسا- حجاجية الخطاب القرآني

أنتجت الدراسات اللسانية اللغوية الحديثة عدة مصطلحات، لعل أهمها مصطلح الحجاج ،والذي يقوم على جملة من الآليات والتقنيات الخطابية التي تكون في خضم العملية التواصلية بين المتكلم والمتلقي ، يوظفها المتكلم بغرض التأثير في المتلقي .

وسنعرض فيما يأتي مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا، وأهم النظريات الحجاجية قديما وحديثا:

أولا- المعنى اللغوي للحجاج:

1-الحجاج في المعجم العربي:

جاء في معجم مقاييس اللغة :«الحاء والجيم أصول أربعة : فالأول القصد ،وكل قصد حج ،ثم اختص بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام للنسك ،والحجيج والحاج ،ومن الباب المحجة وهي جادة الطريق ،ويمكن أن تكون الحجة مشتقة من هذا لأنها تقصد وبها يقصد الحق المطلوب[1].

كما ورد في معجم لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) في مادة (حجج) :

«حجج: الحج القصد ، حج إلينا فلان أي قدم وحجه ،يحجه حجا : قصده وحججت فلانا واعتمدته أي قصدته ،ورجل محجوج أي مقصود ،وقد حج بنوفلان فلانا إذا أطالوا الاختلاف إليه'ويقال: حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، والمحجة : الطريق وقيل جادة الطريق .وقيل محجة الطريق منه ،والحجة البرهان ، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم»[2] .

وجاء في المعجم الوسيط :

---

[1] ابن فارس :أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا ،معجم مقاييس اللغة ،تح عبد السلام محمد هارون ج2 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،د ط (1399هـ/1979م) ،ص 29 مادة (حج)

[2] ابن منظور :محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم الشادلي ،دار المعارف (القاهرة) ط1 1119 هـ،ص 779 مادة (حجج)

»«(حج) إليه: قدم و–المكان قصده، ويقال حج بنو فلان فلانا :أكثروا التردد عليه ،وفلانا: أصاب حجاج عينه ،وغلبه بالحجة. يقال :حاجه فحجه ،(حاجه ،محاجة) وحجاجا :جادله.(احتج) غلبه :أقام الحجة .وعارضه مستنكرا فعله (تحاجوا): تجادلوا[1] .

2–الحجاج في القواميس الأجنبية:

يقابل لفظ الحجاج في اللغة الفرنسية لفظ (argumentation) التي تدل على معان مقاربة لمفهومه في اللغة العربية فحسب قاموس (روبير) (le grand robert)هو«القيام باستعمال الحجج، أو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة أو هو فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معين»[2].

ونجد لفظة(argumentation) تشير إلى الدفاع عن اعتراض بواسطة حجج أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج[3].

وورد في قاموس (كامبردج) أن «الحجاج هو الحجة التي تعلل أو تبرر مساندتك أو معارضتك لفكرة ما»[4].

يشير لفظ (argue) في الانجليزية إلى وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره . بتقديم الأسباب أو العلل التي تكون الحجة (Argument) مع أو ضد رأي أو سلوك ما[5].

والملاحظ من خلال استعراضنا للمعنى اللغوي للفظة (حجاج) (argumentation) ، وجود توافق بين المعنيين المعجميين العربي والأعجمي ، والدال على الجدل والنقاش أو

---

[1]مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط ، ص163

[2]حياة دحمان ،تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف عز الدين صحراوي جامعة حمة لخضر باتنة . ،السنة الجامعية ،1433هـ/1434هـ 2012 م/2013 م ، ص 14

[3]نفسه ، ص.14

[4]نفسه ، ص 15

[5] نفسه ص 15

التخاصم الذي يكون بين متكلم ومتلقي وايراد كل منهما الأدلة التي تثبت صحة موقفه والدفاع عنه.

ثانيا- مفهوم الحجاج اصطلاحا

1-الحجاج في المصطلح الغربي القديم

1-1-مفهوم الحجاج عند السفسطائيين:

إن المتتبع لجهود اللغويين الغربيين القدامى التي يمكن أن تمثل روافد حقيقية للحجاج يجد أن جهود السفسطائين تمثل مرحلة التأسيس للحجاج .

اهتم السفسطائيون بالخطابة اهتماما بالغا واستولوا عليها محاولين في ذلك فرض آرائهم على الجمهور الأثيني واكتسحوا بها أغلب فضاءات الفكر والاجتماع، وذلك باعتبارها أداة للتمويه والخداع والإقناع واستهواء الآخر عن طريق التأثير في مشاعره واللعب بأحاسيسه لأنهم يؤمنون بقوة القول وسلطته ،فالقول الخطابي عندهم يفوق كل المعارف البشرية .وهي مصدر الصنائع الإنسانية وهي الصانعة التي تحرك الأفعال في المتلقي، وبالتالي فالسفسطائية حركة حجاجية بالدرجة الأولى[1].

ولكنه حجاج ابتعد عن معنى الجدل بالحجج من أجل الانتصار إلى جدل قائم على التمويه والمغالطة والقياس الخاطئ ، فقد مارس السفسطائيون الحجاج اعتمادا على آليات الاقناع والتأثير في المشاعر ،وقد تجسدت من خلال الجدل والخطابة ووسائل الاقناع[2].

1-2-مفهوم الحجاج عند أفلاطون(427 ق-م – 347ق م)

كان أفلاطون مقتفيا أثر أستاذه سقراط الذي ثار ضد الممارسة الحجاجية السفسطائية ودافع عن الفلسفة باعتبارها المسلك العلمي الصحيح للوصول إلى الحقيقة.

---

[1] ينظر سفيان أمقران وحفيظة روابنية : تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة مقاربة لمشروع السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو ، مجلة اللسانيات مج 27 –العدد 2 تاريخ الاستلام 2012/12/5 تاريخ القبول 2012/05/6، ص35

[2] ينفسه ، ص 36

ويظهر منهج أفلاطون اتجاه الحجاج عامة من خلال المحاورات التي عقدها مع أشهر السفسطائيين(جورجياس وفايدروبن) اللذين يعتبران من المصادر المركزية في تاريخ الخطابة في الغرب .

قصد أفلاطون إلى الحجاج الذي يهدف إلى الحق والخير واعتمد العقل والحقيقة[1]، ورفض الحجاج الرامي إلى المحتمل والظن واستهواء السامعين إقناع الجاهلين بالموضوع ،رغم ذلك لم يقم قطيعة مع الخطابة السفسطائية ،إنما حاول إصلاحها من خلال وضع شروط لها ،فقدم بذلك مشروعا جديدا في صناعة الخطابة ليكون بديلا عن الحجاج السفسطائي المفوض للمثل [2].

1-3-مفهوم الحجاج عند أرسطو:

طرح أرسطو تصورا جديدا للخطابة مستفيدا في ذلك من دراسات سابقيه ،فقدم قاسما مشتركا بين الخطابة والشعر والجدل، وهي تتصل جميعا بالحجاج، فاتضحت البلاغة الحجاجية عند أرسطو من خلال مؤلفه المشهور (الخطابة) الذي اعتبر مرجعا من مراجع الحجاج لأنه تناوله من زاويتين متقابلتين[3]،من الزاوية البلاغية وربط الحجاج من هذه الزاوية بالإقناع، ومن الزاوية الجدلية حيث يعد الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية ، وتنطلق من مقدمات لتصل إلى نتائج ترتبط بها بالضرورة، هاتان النظرتان تتكاملان في التحديد الذي يقدمه أرسطو لمفهوم الخطاب، إذ يبينه من خلال نوع الجمهور، ومن الرغبة في الإقناع ويحدده في ثلاثة أنواع: النوع الاستشاري، النوع القضائي، النوع القيمي[4].

---

[1] ينظر سفيان أمقران وحفيظة روابنية : تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة مقاربة لمشروع السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو ، ص 36

[2] نفسه، ص 37

[3] مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية ،كلمة للنشر والتوزيع ،ط1، 1436هـ/2015 م ، ص 20

[4] نفسه ،ص20

2-الحجاج في المصطلح الغربي الحديث

2-1-مفهوم الحجاج عند برلمان وتيتيكاه(chaim perelmanوtyteca):

يعتبر(مصنف في الحجاج) وهو كتاب لبرلمان وتيتيكاه جماع تصانيف المؤلفين وزبدة أبحاثهما، يرمي المؤلفان من خلال هذا الكتاب إلى إخراج الحجاج الذي يعتبرانه سليل الخطابة والجدل معا، من دائرة الخطابة والجدل الذي ظل مرادفا للمنطق منذ القديم .فقد عمل الباحثان من ناحية أولى على تخليص الحجاج من التهمة اللائطة بأصل نسبه وهو الخطابة، تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا ،ودفعه دفعا إلى القبول باعتباطية الأحكام ولا معقوليتها .و من ناحية ثانية على تخليص الحجاج من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة خضوع.

فالحجاج عند برلمان وتيتيكاه معقولية وحرية وهو« حوار من أجل الوصول إلى وفاق بين الأطراف المتحاورة[1]».

ويعرف الباحثان موضوع نظرية الحجاج بقولهما «موضوع الحجاج هي درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[2].

كما تناول المؤلفان الغاية من الحجاج فيقولان :«غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامع بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة»[3].

---

[1] إشراف حمادي صمود ،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية تونس 1 كلية الآداب منوبة ص 298

[2]نفسه ، ص 299

[3] نفسه، ص 299

من مقومات الحجاج عند المؤلفين: حرية الاختيار على أساس عقلي .كما قسما الحجاج بحسب نوع الجمهور وهما الحجاج الاقناعي(làrgumentation persuasive وهو يرمي إلى إقناع جمهور خاص، والحجاج الاقتناعي(àrgumentation convaincante) وهو حجاج يرمي إلى أن يسلم به كل ذي عقل.

ومن خلال ذلك يمكن القول أن برلمان وتيتيكا يجعلان الاقتناع دائما أساس الإذعان وأساس الحجاج ،وأن الاقناع بما أنه ذاتي وخاص وضيق لا يعتد به في الحجاج.

2-2- مفهوم الحجاج في اللغة (أزوالد دكرو وجون كلود أنسكومبر) (o;ducreو jean claud ansconbre)

تمثل أعمال أزوالد دكرو وجون كلود، تيارا تداوليا .فهو يرفض التصور القائم على الفصل بين الدلالة التي موضوعها معنى الجملة، والتداولية وموضوعها استعمال الجملة في المقام، من جهة والسعي إلى سير كل ما له صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال البلاغي المحتمل من جهة أخرى .فيكون مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة.

فقد تأثرت أبحاثهما بنظرية بنفيست (نظرية الأعمال اللغوية) .في منطلقاتها الأساسية، ولكن ما يميز هذا التيار التداولي حقا هو اعتبار اللغة قيدا يضبط نسق ترتيب الأقوال في النصوص ، إضافة إلى احتمالات في التركيب والنظم[1].

فترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي إنما هو ترابط حجاجي لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون آخر ، فموضوع الحجاج في اللغة «هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلم في اللغة التي يتكلم فيها. يوجه قوله وجهة حجاجية ما»[2].

(1) إشراف حمادي صمود ،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص352

(2) نفسه، ص352

وهو بحث في الترابطات الحجاجية الممكنة بما أن مسوغاتها موجودة في البنية اللغوية للأقوال وليست رهينة المحتوى الخبري للقول لا رهينة أي بنية استدلالية صناعية من خارج نظام اللغة.

فالحجاج مجاله الخطاب نفسه الذي تسيره قوانين داخلية تفرض استئناف القول فيه على هذا الوجه أو ذاك[1].

2-3-مفهوم الحجاج عند ميشال مايير(michel mayer) من خلال نظرية المساءلة:

إن آراء مايير في الحجاج متصلة بتحديده طبيعة الكلام ووظيفته التساؤلية لما كان الكلام إثارة للسؤال أو استدعاء له لزم أن يتولد عن ذلك نقاش يولد بدوره حجاجا.

فالحجاج لديه ملازم لاستعمال الكلام .لأن الكلام يتضمن بالقوة سؤالا يستمد منه دلالته ،والحجاج لا يتصل بضرب من الخطابات مخصوص بل يشمل كل ضروب الخطاب الشفوي والمكتوب الأدبي وغيره[2].

فالحجاج عند مايير يتولد من المساءلة التي تكون بين الأطراف المشاركة في النقاش.

3-الحجاج في المفهوم العربي القديم

3-1- الحجاج عند أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت 255هـ):

خالف الجاحظ الدرس الحجاجي عند اليونان . وبذلك أرسى قواعد الحجاج العربي وسماته المميزة .ففصل في استراتيجيات الاقناع .فظهرت العلاقة بين البلاغة العربية والحجاج في أوضح الصور عنده، وذلك من خلال إشاراته الكثيرة إلى آليات البيان ووسائله

تصور الجاحظ للبيان وليد بلاغته، إذ يمتلك الجاحظ قدرة فائقة على الاحتجاج للشيء ونقيضه . كما يمتلك المقدرة البيانية على التحكم في الخطاب ووسائله إضافة قوة الاقناع في

[1]،إشراف حمادي صمود ،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ص352

[2]،نفسه ص394

جل المواقف[1].

لقد أشار الجاحظ في مؤلفاته إلى قيمة الملفوظ والإشارة الحجاجيتين ،الإشارة «وسيلة من وسائل الحجاج التي تؤكد حجة القول، فهي تمثل تأكيده بالفعل، فالمتكلم وهو يقدم حجة يؤكدها بإشارة فتدعم وتعزز معنى اللفظ لتوضيح هدفه وقصده من دون أن يصرح بذلك»[2]

وتتجلى تقانة الإقناع في الدرس الحجاجي العربي حسب كتاب البيان والتبيين للجاحظ في مكونين[3]:

1- المكون اللغوي: وهو المتعلق بالفعل اللغوي الذي يعتمد عليه الجاحظ في بناء استراتيجية إقناعية للخطاب ،حيث ركز على صفات الخطيب المتصلة بالفصاحة والسلامة النطقية والبيانية بصفة علمه وتفصيله في مساوئ العي وعيوب النطق والبيان.

2- المكون الاجتماعي: وهو المتعلق بالتواصل ،ولخصها الجاحظ في كلمتي(الفهم والإفهام) ،بحيث يتعلق الفهم بالمتلقي والإفهام بالمتكلم ،وهما يقتضيان التواصل والتعاون بين المتكلم والسامع لإنجاح عملية التواصل.

3-2- مفهوم الحجاج عند أبي اسحاق ابن وهب (ت 337هـ)

إن ابن وهب من أوائل العرب المهتمين بالحجاج ومقاربته لمفهوم البيان ، وذلك في كتابه (البرهان في وجوه البيان)، إذ قسم فيه البيان إلى أربعة أبواب وهي[4]: باب الاعتبار متعلق بالقياس وباب الاعتقاد عن الحق واليقين والظن والمشتبه، وباب العبارة: وفيه ما تعلق بالتخاطب ويتجلى في الحوار والتناظر والجدل، وباب الكتاب وفيه ما يحتاج إليه كاتب الخط ،وما يتوفر فيه من شروط .

---

(1) محمد اعرابي ،العلاقات الحجاجية في القرآن الكريم ،إشراف عبد الخالق رشيد ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة وهران (الجزار).، ،السنة الجامعية 2014/2013، ص 34

(2)ينظر سفيان أمقران وحفيظة روابنية : تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة مقاربة لمشروع السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو ، ص 34

(3) ينظر:لزهر كرشو ،تقانة التحليل الحجاجي للخطاب ، مطبعة الرمال .د ط 2020 ،ص 23

(4)نفسه ص (26-29)

يعد باب العبارة هو الباب الأقرب إلى مفهوم الحجاج لأنه يعتبر الذوات تتفاعل فيه بغرض التأثير وعموما يمثل السلوك الحواري .

فابن وهب بهذه التحديدات المتعلقة بالبيان الفقهي باعتباره إقامة الحجة على صدق الخطاب ،حاول تأسيس نظرية معرفية منطقية قائمة على البرهان والقياس والاقناع، وقد قاربت هذه المفاهيم في معظمها المصطلحات الحجاجية الحديثة.

فنجد ابن وهب يركز في سياق (الجدل والمجادلة) على وجوب توفر عنصر الخلافية بين المتجادلين في معرض تعريفه للجدل، وعنصر العلة باعتباره مدار الجدل . الجدل(إقامة الحجة) وشرطه(الخلاف بين المتجادلين). ومجال استعماله(المذاهب والديانات) وشكله الخطابي (الشعر والنثر)[1].

كما وضع آدابا للجدل والمجادلة واستراتيجية الاقناع عن طريق البصر بالحجة ،وهي من أبرز النقاط التي أكد عليها ابن وهب، وذلك من خلال وضع إجراءات خطابية للمجادل أو المحاجج من شأنها استثمار ما لدى الخصم من حجج وتوجيهها توجيها عكسيا، كي تكون تلكم الحجج على الخصم لا له، كما ركز في استراتيجيته الاقناعية على تكوين الخطيب وتعليمه آليات الجدل المفضي إلى الاقناع والتأثير في المتلقي وغلبته.

3-3 مفهوم الحجاج عند أبي هلال العسكري(ت 395هـ):

يربط أبو هلال العسكري الشعر بالحجاج بصلة وثيقة ،لأن الشاعر يرمي إلى إبانة وإثبات صحة المعاني التي يوردها في شعره، إذ أن الشعر يهدف إلى استمالة القلوب والعقول، ويؤثر فيهما بواسطة اللغة وبتقنياتها، فقد أورد في كتابه (الصناعتين) فصلا عنوانه (الاستشهاد والاحتجاج) وقد أشار إلى أن الاستشهاد والاحتجاج « كتب في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر ومجراه مجرى التذبيل لتوليد

[1] ينظر محمد اعرابي ،العلاقات الحجاجية في القرآن الكريم ،إشراف عبد الخالق رشيد ، ص 32

المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده معنى آخر مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته »[1].

فقد ربط أبو هلال العسكري الشخر بالحجاج ،باعتبار أن الشاعر يرمي إلى استمالة المتلقي والتأثير فيه.

4-الحجاج في المصطلح العربي الحديث:

4-1- الحجاج عند طه عبد الرحمان:

يرى الدكتور طه عبد الرحمان أنه كلما وقفنا على لفظ (الحجاج) تبادر إلى أذهاننا معنى (التفاعل)، لكن حقيقة الحجاج في رأيه لا تقوم في مجرد العلاقة الاستدلالية بين جانبين، وإنما ماهية الحجاج تقوم في كونه ينطوي على قدر من الالتباس في الوظيفة (المتكلم والمتلقي)، هذا الالتباس الذي لا نجد له نظيرا في غيره من طرق الاستدلال، ولولا تضمن الحجاج لهذا الالتباس لما تميزت طريقه عن طريق البرهان . والأصل في الالتباس الحجاجي هو أن الحجاج يجتمع فيه اعتباران اثنان هما (اعتبار الواقع) و(اعتبار العتمة)[2].

وينبني الحجاج حسبه على مبدأ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد، وتبقى القيمة هي الأصل الذي تتفرع عليه الواقعة والعكس غير صحيح.

ويعتبر أن المنطوق به الذي ينبغي أن يكون حجاجا هو الذي يقوم بتمام المقتضيات التفاعلية الواجبة في حق ما يسمى (مجازا) إذ أن حد المجاز أنه «كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها»[3].

وهذا التعريف للمجاز يأخذ بالازدواج الذي ينبني عليه الالتباس المطلوب في الحجاج . وهو الالتباس بين واقع الدعوى وقيمتها، ويرى أن واقع الدعوى هو (العبارة) وقيمتها

---

[1] مثنى كاظم صادق ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير على السور المكية. ، ص (25- 26)

[2] طه عبد الرحمان ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1998 م ،ص 230

[3] نفسه ص 231

(الإشارة) بحيث يكون المجاز هو الاستدلال بعبارة الدعوى على إشارتها وبذلك يكون جامعا بين معنيين متقابلين (العبارة) و(الإشارة) هذا الجمع هو نفسه الالتباس المطلوب في الحجاج «الذي هو تعالق بين معنيين أحدهما واقعي (حقيقي) وثانيهما قيمي (مجازي)، بحيث يكون الأول منهما واسطة في حصول الثاني»[1].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن طه عبد الرحمان ربط بين الحجاج والمجازالذي يحدد ماهية الحجاج.

4-2 الحجاج عند عبد الله صولة:

ينتقد عبد الله صولة مرادفة القدامى وبعض المحدثين بين الحجاج والجدل واعتبره تضيقا لمصطلح الحجاج . ويعتبر أن كل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدل[2].

ولقد عدت المحاجة أو الحجاج (argumentation) بكونها «سلسلة من الأدلة تقتضي إلى نتيجة واحدة أو هي الطريقة التي تطرح بها الأدلة»[3].

والمعلوم حسبه أن هذه الأدلة أو الحجج يمكن أن تكون استقراء، أو قياسا ظاهرا ومجال ذلك الجدل، أو مثلا وضميرا، ومجال ذلك الخطابة، مع ما بين أنواع هذه الحجج من تداخل وتماس، واعتبر عبد الله صولة أنه يوجد على الأقل حجاجان: حجاج جدلي وحجاج خطابي[4].

لكنه اختار سبيل ثالثة للحجاج غير التي تربطه بالخطابة وبالجدل ،وهو السبيل الذي ظهر بصدور كتابين في الحجاج يضعانه في إطار فلسفي، ثم تطرق إلى تطور الحجاج،

---

[1] طه عبد الرحمان ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص 231

[2] عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،دار الفرابي ،بيروت لبنان ، ط 2 ،2007 م ، ص 17

[3] ،نفسه ص 17

[4] نفسه ، ص 17

واعتبر التغيير الجوهري الذي طرأ على مفهوم الحجاج هو الذي جعله يبحث في ما اشتمل عليه القرآن من حجاج بعيدا عن أي مجازفة .

فقد بحث عبد الله صولة في سبيل الحجاج وتطبيقه في القرآن الكريم باعتباره كتابا مقدسا، لا يمكن أن يتخذ المغالطة أو الإيهام المميزين للخطابة، ولا بالجدل وهو موضع إتهام بالقصور على الإلمام بكل ما ينشأ في خطاب اللغات الطبيعية من وجوه المحاجات.

4-3- الحجاج عند أبي بكر العزاوي:

درس أبو بكر العزاوي الجوانب الحجاجية للغة العربية وتبنى نظرية الحجاج في اللغة لمؤسسها أزفالد ديكرو، وذلك انطلاقا من فكرة أننا نتكلم عامة بقصد التأثير[1].

ويرى أن نظرية الحجاج انبثقت من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضعها أستين

يعرف أبو بكر العزاوي الحجاج بقوله «إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة .وهو يتمثل في انجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب»[2].

ويوضح ذلك بقوله :« يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال بعضها بمثابة الحجج اللغوية ، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها» [3].

وهو يرى أن التسلسلات الخطابية محددة بواسطة الوقائع (des faits) المعبر عنها داخل الأقوال، وهي أيضا محددة بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها، ومن هنا ميز العزاوي بين الاستدلال والحجاج، إذ يعتبره مبنيا على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، بينما الاستدلال مؤسس على القضايا المتضمنة في الأقوال، أي على ما تقوله أو تفترضه بشأن العالم .

---

(1) أبو بكر العزاوي ،اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ،ط1 /(1426هـ/2006م)، ص15

(2) نفسه ، ص 15

(3) نفسه، ص 15

ثم تطرق العزاوي إلى مفاهيم الحجة والنتيجة عند ديكرو ،التي كان يعتبرها أقوالا حسب التصور الذي وجده في أعمال ديكرو الأخيرة ،ويرى أنها أعطيت لها مفاهيما دلالية واسعة ومجردة[1].

ثالثا: الحجاج والخطاب الحجاجي

1-موضوع الحجاج و أهدافه:

موضوع الحجاج -حسب برلمان- هو دراسة التقنيات الخطابية المتمثلة في المكونات الحجاجية والعناصر الاثباتية المرتبة بطريقة معينة ،والتي من شأنها أن تجعل المتلقي يسلم بما يطرح عليه من تصورات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم[2].

في حين يرى ديكرو أن موضوع الحجاج هو دراسة الوسائل اللغوية التي يتوفر عليها المتكلم بقصد توجيه خطابه وجهة تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية[3].

أما هدف الحجاج فيتمثل في استمالة عقول الآخرين ونفوسهم والتأثير فيهم، وبالتالي إقناعهم بمقصد معين لذا يجب على المخاطب رصد كل الوسائل اللغوية الملائمة للتأثير في المتلقي.

كما يرى برلمان أن غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام به، يقول عبد الله صولة:« غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب(إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة »[4] .

2. عناصر الحجاج:

---

[1] ينظر:أبو بكر العزاوي ،اللغة والحجاج ، ص 18

[2] ينظر: عبد الله صولة ،في نظرية الحجاج، مسكيلياني للنشر و التوزيع،تونس،ط1-011،ص13.

[3] سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط2-2001،ص21

[4] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج،ص13

يقوم الحجاج على مجموعة من العناصر الأساسية التي تحقق التماسك بين وحداته، وتسهم في بناء نسق حجاجي، وهي:

2-1-الحجة :هي ذلك المخزون الذي تقوم الأطراف المتنازعة ،بتقديمه قصد تحقيق المساندة لدعواها، « الحجة البرهان، وقيل الحجة ما دوفع به الخصم، والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة...وجمع الحجة حجج...والحجة الدليل والبرهان»[1].

فالحجة مركبة من مقدمات مسلم بها، والغاية منها إلزام الخصم وإذعانه للوصول إلى تسليمه بالقضية المطروحة كنتيجة لذلك، وللحجة وجهان: الأول يتمثل في إفادة الرجوع أو القصد، إذ إنّ الحجة مشتقة من الفعل(حجّ) الذي يعني رجع أو قصد، فتكون الحجة أمرا نرجع إليه ونقصده لحاجتنا إلى العمل به، والثاني يتمثل في إفادة الغلبة، ذلك أن الفعل (حجّ) يدل أيضا على معنى غلي، فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجة[2].

2-2- الرابط الحجاجي: وهو ما يحقق التماسك والانسجام داخل العلاقات القائمة بين الحجج.

2-3- النتيجة: وهي المعنى المستخلص والمتوصل إليه من العملية الحجاجية، ويتضح بذكر الحجج كونها الأساس الذي تبنى عليه ،فالنتيجة بالرغم من أنها أخيرة في البناء الحجاجي إلا أنها تعمل على تحديد وضع كل حجة داخل المنظومة الحجية أي داخل الحجاج.

3. مفهوم الخطاب الحجاجي:

للخطاب الحجاجي عدة مفاهيم ،نذكر منها ما يلي:

«الخطاب الحجاجي هو نص متناغم يقوم على وحدة معينة لا تكون بالضرورة واضحة وجلية بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه، وضع لإقناع المتلقي بفكرة ما أو بحقيقة معينة عن طريق تقنيات مخصوصة»[3].

---

(1) مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي –تنظير و تطبيق على السور المكية، ،ص17

(2) ينظر: طه عبد الرحمان ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، -،ص137

(3) سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه، ،ص 26

فهو خطاب لغوي تواصلي له بنية عرض تدخل فيها مجموعة من العوامل تحدد بعدها الحجاجي في الخطاب، لذا فهذه العوامل لا تفرض بالقوة والإكراه، بل عن طريق كفاية المرسل وقدرته على التأثير[1].

4- سمات الخطاب الحجاجي و ضوابطه:

1.4- سماته:

للخطاب الحجاجي سمات تميزه عن غيره من الخطابات و هي [2]:

1.1.4.القصد المعلن: وهو قصد المتكلم إحداث أثر ما في المتلقي، أي إقناعه بفكرة معينة.

2.1.4.التناغم: هو قدراته هو يوظف التسلسل الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات، سواء تعلق الأمر بالفتنة أو الانفعال ،وتكون للمخاطب معرفة لنفسية المتلقي وقدراته، ويتجلى أيضا في نصه سحر البيان، وتتأكد فتنة الكلام أي الانفعال له.

3.1.4.الاستدلال: وهو سياقه العقلي ،أي تطوره المنطقي، فالنص الحجاجي قائم على البرهنة، وإذا أعدنا الحجاج إلى أبسط صوره ،وجدنا ترتيبا عقليا للعناصر اللغوية يستجيب لنية الإقناع.

4.1.4. البرهنة : وإليها ترد الأمثلة والحجج، وكل آليات الإقناع مرورا بأبلغ إحصاء ،وأوضح استدلال.

5.1.4 .الحوارية : فالخطاب الحجاجي في جوهرة حوار مع المتلقي، حوار قائم على علاقة بين مؤسس النص ومتلقيه، وهذه السمة تجعل الخطاب الحجاجي.

وهذه السمات هي المحاور التي ينطلق منها المرسل نحو المتلقي من خلال استعمال التحليل العقلي والدعاوي المنطقية، بهدف التأثير في وجهات نظره وسلوكه، وبهذا يحصل

(1) مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي تنظير و تطبيق على السور المكية ، ص 40

(2) ينظر: سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه ، ، ص28,27,26

توصيل القصد، والكشف عن مدى قدرة اللغة على التغيير في الآخر، وجعله مذعنا لما هو مطروح، فلا حجاج دون القدرة على التأثير ومحاولة الإقناع.

2.4 ضوابط الخطاب الحجاجي:

للخطاب الحجاجي ضوابط تضبطه ، على المرسل الالتزام بها ليحقق هدفه من خطابه نذكر منها [1]:

4-2-1-أن يكون الحجاج ضمن إطار ثابت مثل الثوابت الدينية أو العرفية أو العلمية، فليس كل شيء يقبل الحجاج.

4-2-2- أن تكون دلالة الألفاظ محددة والمرجع الذي تحيل إليه محددا.

4-2-3-- ألا يقع المرسل في التناقض في قوله أو فعله، وإلا بدا زيف الحجاج ووهنت الحجة.

4-2-4- أن يكون الحجاج جامعا مشتركا بين المتحاجين، لكي يحصل توافق بينهما في إمكانية قبول الحجج أو رفضها.

4-2-5- ضرورة خلو الحجاج من الإبهام والمغالطة والابتعاد عنها.

4-2-5- أن يمتلك المرسل ثقافة واسعة، فكلما كانت الثقافة واسعة زادت الحجج وأصبحت أكثر إقناعا.

وهذه الضوابط هي التي تجعل المتلقي يقاسم المرسل اعتقاده وطرحه، فنظريات الحجاج تتفق على أن الخطاب الحجاجي يتميز بكونه خطابا مبينا وموجها وهادفا.

رابعا: العوامل الحجاجية:

لما كان الإقناع هدف العملية الحجاجية، فإن الخطاب الحجاجي يعتمد على تقنيات خاصة لها دلالات مميزة لا يمكن إدراكها إلا باللغة، لذا فالمحاجج يختار من الأدوات

[1] ينظر: مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي تنظير و تطبيق على السور المكية، ص 44,43

اللغوية أثناء محاججته ما يناسب المقام الحجاجي، يقول الشهري: « ...فيعمد إلى توظيف الأدوات اللغوية بمعانيها وخصائصها وإمكاناتها المعروفة، وتنوع وظائفها في السياقات الممكنة»[1]، ومن بين هذه التقنيات العوامل الحجاجية.

1-تعريف العوامل الحجاجية:

للعوامل الحجاجية أهمية كبيرة نظرا لما تحققه من انسجام في الخطاب ، وإخضاع المتلقي لما يريده المتكلم، ومن بين تعريفاتها نذكر ما يلي:

«هي عناصر لغوية إسنادية أو معجمية تربط بين مكونات القول الواحد كالحصر والنفي والشرط ...و وظيفتها هي حصر الإمكانات الحجاجية(potentiqlites)لمحتوى الملفوظات وتحويلها، مثل صيغ (peu/presque) في اللغة الفرنسية»[2].

وعرفها رودولف قيقليون(Ghiglione Rodolphe) بقوله: «عناصر تساعد في تحقيق إحدى وظائف اللغة ، وإتمام اللعبة الحجاجية»

أما الراضي رشيد فعرف العامل الحجاجي بقوله :« هو صريفة (مورفيم)، إذا ما أُعملت في ملفوظ معين أدّت إلى تحويل الطاقة الحجاجية للملفوظ، لا بسبب القيم الخبرية لهذه الصريفة ، وإنما من مجرد وظيفتها التحويلية الحجاجية الخالصة»[3].

كما أكد ديكرو على أن العوامل الحجاجية هي عناصر لسانية وليست مقامية ، فيقول: «القيمة الحجاجية للملفوظ ليست نتيجة لمداه الإبلاغي ، لكن الجملة تكون حاملة لصرافم أو تعبيرات أو موجهات إضافة إلى محتواها الإبلاغي تصلح لإعطاء وجهة حجاجية للملفوظ تجعل المتقبل في اتجاه من الاتجاهات»[4].

من خلال ما سبق نستنتج أن العوامل الحجاجية هي عبارة عن عناصر لغوية يوظفها المخاطب في خطابه فتجعل المتلقي يتجه نحو نتيجة محددة هي التي أرادها المتكلم فتتحقق الوظيفة الحجاجية للغة المتمثلة في الإذعان.

(1)عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب،ص477

(2)عبد اللطيف عادل ،بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ،بيروت، لبنان،ط1-2013،ص100

(3)المجلة العلمية للعلوم الانسانية ،مقال: المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية ،مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت ،المجلد24،العدد134،تاريخ النشر30 يونيو2016،ص19

(4)عز الدين الناجح ،العوامل الحجاجية في اللغة العربية ،مكتبة علاء الدين ، تونس ،ط1-2011،ص17,16

2-وظيفتها:

أشار كل من ريبول وموشلار إلى أن وظيفة العوامل الحجاجية هي تقوية طاقة الملفوظ الحجاجية، وذلك بتقليص التأويلات وجعلها محددة، وذلك بسرعة ربطها بين الحجة والنتيجة ،فوظيفتها الأساسية هي ضمان التوجيه الحجاجي للملفوظ و تقويته[1].

فالعوامل الحجاجية إذا دخلت على الملفوظ تكسبه ثلاث وظائف حجاجية، أولاها القضاء على تعدد الاستلزامات والنتائج، وحصر التأويلات في اتجاه واحد، فتقود إلى نتيجة واحدة، وذلك بالانتقال بالملفوظ من الابلاغية إلى الحجاجية، وثانيها أنها تربط المعطى (ق1)بالنتيجة (ق2) ، وثالثها هو تقوية التوجيه نحو النتيجة (ن)[2].

ويقول عبد الله صولة: «إن العامل الحجاجي إذ يدخل على الملفوظ يحد من عدد المسارات المؤدية إلى النتيجة ...فاختيار المتكلم الملفوظ وقد دخلت عليه العوامل الحجاجية أنفع في إقامة الحجة»[3].

مما سبق يتضح لنا أن العوامل الحجاجية تمكن المتكلم من إيصال فكرته وتحقيق غاياته الحجاجية وذلك بلأنها تضفي على الملفوظ قوة إقناعية كبيرة.

خامسا: حجاجية الخطاب القرآني:

1. تعريف القرآن لغة واصطلاحا:

للقرآن تعريفات لغوية أوردها العلماء في كتبهم ، نذكر منها:

يقول الدليمي نقلا عن الفراء :«إنه مشتق من القرائن جمع قرينة، لأن آياته يشبه بعضها بعضا، فكأن بعضها قرينة على بعض» [4].

وعرّف أيضا: «هو مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى :﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرانه﴾القيامة [اية 17,18] ، ثم نقل من المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبيﷺمن باب إطلاق المصدر على مفعوله. يقال قرأ الكتاب قراءة و قرانا –بالضّم

---

(1) ، عز الدين الناجح ،العوامل الحجاجية في اللغة العربية ،مكتبة علاء الدين ص33

(2) نفسه ،ص33

(3) عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات ، مسكلياني للنشر ،ط1-2011،ص80

(4) أكرم عبد خليفة الدّليمي، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان،ط1-2006،ص18

وقرأ الشيء قرانا –بالضّم – أيضا ،جمعه وضمّه، ومنه سمي القرآن ،لأنه يجمع السّور ويضمها»[1].

أما اصطلاحا: «إنه الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف ،المنقول بالتواتر ،المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس»[2].

أما القرآن باعتباره ألفاظا منطوقة فيعرّف شرعا بأنه: «القول المنزل على محمدﷺالمعجز بسورة منه، المتعبد بتلاوته ،المنقول إلينا بين دفّتي المصحف نقلا متواترا»[3].

2. تعريف الخطاب القرآني:

عُرّف الخطاب القرآني بأنه: «القران الكريم الذي يخاطب به البشر لإقناعهم بالتخلي عن معتقداتهم والإيمان بالمعتقد الجديد وقد تعددت مظاهر هذا الإقناع في القرآن، ويمكن اعتبار القران خطابا حجاجيا نظرا لكونه جاء ردا على خطابات علنية كانت أم ضمنية، فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في الإيمان بالله الواحد الأحد»[4].

3. **مميزاته:**

للخطاب القرآني مميزات تميزه عن باقي الخطابات ونذكر منها[5]:

3-1-توجيه الخطاب لجميع العقائد: فالنص القرآني يخاطب جميع الناس على اختلاف معتقداتهم.

3-2-التوجه بالخطاب للعامة والخاصة: فالقرآن خاطب الناس على تفاوت درجاتهم واختلاف قدراتهم، ليجد فيه الكل بغيته.

3-3- كونه خطاب الإقناع والإمتاع: فأسلوبه عامة أسلوب تصويري يمتاز بالتشويق وحسن النظم، زيادة على قوة الإقناع وشدة التأثير، فهو يخاطب العقل والعاطفة معا بلسان واحد.

([1]) عبد القادر محمد المعتصم دهمان، أساليب الخطاب في القران الكريم ، مجلة الوعي الاسلامي ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ،الكويت ط1-2015[مج123/1]

([2]) كرم عبد خليفة الدليمي، مرجع سابق ،ص19

([3]) عبد القادر محمد المعتصم دهمان، أساليب الخطاب في القران الكريم ، مجلة الوعي الاسلامي،ص124

([4]) نفسه ،ص124

([5]) عبد الله علمي ، مقال بعنوان : سمات الخطاب القرآني دراسة في الأسلوب، جامعة القاضي عياض ، المغرب ، تاريخ الإرسال 2018/6/4،تاريخ القبول 2018/10/10،ص 8,7,6

3-4- الاستمالة العاطفية: فالقرآن طاقة روحية هائلة لها تأثير بالغ الشأن في الانسان، فهو يهز وجدانه ويصقل روحه، ويوقظ تفكيره ويُجلي بصيرته فيحوله إلى إنسان جديد بسبب ما تحمله آياته من قوة اقناعية[1].

4. أغراضه:

من أغراض الخطاب القرآني[2]:

- التعريف بالقرآن أنه معين الهداية وينبوع الحكمة وإقامة الأدلة والشواهد على ذلك كونه خطابا موجها.

- دعوة الناس كافة إلى الدخول في دين الله بشتى الأساليب وذكر قصص الأمم السابقة التي اتبعت الرسل كيف نجت وبيان عاقبة الذين كذبوهم.

- بيان الأحكام الشرعية .

- الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى لتحقيق وحدة الربوبية و وحدة الألوهية فلا رب غيره سبحانه ولا معبود سواه.

يقول ابن عاشور: «إن الغرض الأكبر للقرآن، هو إصلاح الأمة، فإصلاح كفارها بدعوتهم للإيمان، ...وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم، وتثبيتهم على هداهم، وإرشادهم إلى طرق النجاح وتزكية نفوسهم » [3].

5. حجاجية الخطاب القرآني:

الخطاب القرآني خطاب حجاجي، لأنه خطاب والخطاب يقتضي الإقناع والتأثير، كما يرى عبد الله صولة أن الخطاب القرآني توفرت فيه معطيات جعلت منه خطابا حجاجيا، فهو بالدرجة الأولى جاء ليبسط عقيدة عالمية تقتضي توظيف الآليات الحجاجية التي تحتوي العقل الإنساني وتقنعه، وهذه المعطيات هي [4]:

---

(1) ينظر: بوسلاح فايزة ، السلالم الحجاجية في القصص عبد الله علمي ، مقال بعنوان : سمات الخطاب القرآني دراسة في الأسلوب، جامعة القاضي عياض ، المغرب ، تاريخ الإرسال 2018/6/4،تاريخ القبول 2018/10/10،ص 8,7,6القرآني ،مقاربة تداولية ، أطروحة دكتوراه في اللسانيات ، جامعة وهران 1 ، أحمد بن بلة ص30

(2) ينظر: نسرين تومي و نورة بوالي ، الحجاج و الياته في الخطاب القرآني سورة النمل أنموذجا ،ص14

(3) بن عاور :محمد الطاهر بن عاشور، تفسيرالتحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس،ط-1984،[ج81/1]

(4) عبد الحليم بن عيسى ، مقال بعنوان : البيان الحجاجي في إعجاز القرآن ، سورة الأنبياء نموذجا ، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، العدد 2006/102

-الخطاب القرآني يسعى إلى الإقناع.

- القرآن الكريم هو خطاب موجه إلى مخاطب كوني، أي أنه لا يقصد متلقيا معينا في زمان معين أو مكان مخصوصين، بل هو خطاب موجه إلى البشرية جمعاء في كل زمان ومكان.

- كونية الخطاب القرآني جعلته يقوم على توظيف أساليب في التبليغ لا تعتمد على الفهم والإفهام فحسب، بل تتعداها إلى التأثير والاستمالة.

6. خصائص الحجاج القرآني :

إنّ الحجاج القرآني غايته الإبانة والإبلاغ و الإقناع باستخدام شتى أنواع الأدلة، عقلية كانت أم لغوية أم واقعية أم دلائل كونية بهدف إثبات حقيقة الإسلام والإيمان بالله ولقائه ورسله واليوم الآخر، وله خصائص تميزه، وهي كما يلي[1]:

-متانة وإحكام الحجج، فحجج القرآن الكريم قامت على أسس متينة من الجودة والإحكام .

-إعجاز القرآن الكريم، فالقرآن هو أعلى مراتب البيان، كونه جمع أسباب الحسن في العبارة والنظم، وكون الحجاج آلية من آليات البيان فقد كان الحجاج في القرآن وجه من وجوه إعجازه.

- مخاطبة كافة الناس حسب مداركهم، كون القرآن الكريم جاء للناس جميعا على اختلاف أشكالهم ومستوياتهم وألوانهم ،فقد تضمن من الحجج ما يناسب كل فئة، فهو يصل إلى الجميع ويقنعهم بتلك الحجج.

- مخاطبة العقل والعاطفة والحس.

[1] ينظر: أحلام عبد العزيز الوصيفر وعزة محمد جدوع، مقال :الحجاج في القرآن الكريم سورة الحج أنموذجا، جامعة الملك فيصل وجامعة السويس، مجلة البحث العلمي في الآداب،العدد19(2018)،جزء11،ص20,19

– إتاحة الفرصة للتفكير والمناقشة، فقد أتاح القرآن الكريم للإنسان مناقشة أمور العقيدة والفقه، كما فتح له باب الحوار، وعلمه كيفية محاورة الآخر، سواء أكان هذا الآخر ممن يجادلون مكابرة أم عنادا أم تفقها أم اطمئنانا، كل حسب نيته.

ومن خلال هذه الخصائص يتضح لنا ما للقرآن الكريم من رقي في الأسلوب والبيان، لما فيه من جمال في العبارة، ومتانة الحجج وقوة التأثير في عقول وقلوب البشر على اختلاف أنواعهم ومستوياتهم.

الفصل الأول: سور الحواميم (التعريف والمقاصد)

أولا: التعريف بسور الحواميم وأسباب نزولها

ثانيا: تسميات وفضل الحواميم

ثالثا: مقاصد الحواميم

رابعا: النسيج الحجاجي في سور الحواميم من خلال المقاصد

أولا: التعريف بسور الحواميم وأسباب نزولها :

الحواميم هي سبع سور متتالية في الثلث الأخير من القرآن الكريم تبدأ جميعها بـ(حم)، وهي مرقمة كالآتي:40 سورة غافر،41 سورة فصلت، 42 سورة الشورى،43 سورة الزخرف، 44 سورة الدخان، 45 سورة الجاثية، 46 سورة الأحقاف حسب ترتيب السور.

وقد سميت بـ(الحواميم وبذوات حم، وآل حم) لأنّها كلّها تفتتح بـ(حم)، وهي مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول، وقد جعلوا لها اسم(آل) لتآخيها في فواتحها كأنها أسرة واحد وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان ،وربما جمعت السور المفتتحة بكلمة (حم) فقيل الحواميم، جمع تكسير على زنة فعاليل لأن مفرده على وزن فاعيل وزنا عرض له من اسمي الحرفين (حا)و(ميم)، فصار كالأوزان العجمية مثل (قابيل) و(راحيل)، وقد ثبت أنهم جمعوا (حم) على حواميم في أخبار كثيرة، فعن ابن مسعود وابن عباس وسمرة بن جندب ونسب في بعض الأخبار إلى النبيّ ﷺ ولم يثبت بسند صحيح، ومثله السور المفتتحة بكلمة (طس)أو (طسم) جمعوها على طواسين بالنون[1].

وسنتطرق فيما يلي إلى التعريف بكل سورة مع ذكر سبب نزولها:

1-**سورة غافر**: ترتيبها أربعين(40)، وعدد آياتها اثنتين وثمانين(82) عند أهل البصرة، وأربع وثمانين (84)عند أهل الحجاز، وخمس وثمانين(85) وأهل الكوفة، وست وثمانين(86) عند أهل الشام[2].

لهذه السورة عدة تسميات، فهي تسمى سورة غافر لأن الله تعالى ذكر هذا الوصف الذي هو أحد صفاته في بدايتها، كما تسمى سورة المؤمن أو حم المؤمن لذكر قصة مؤمن آل فرعون[3]، وتسمى أيضا سورة الطَّوْل(الإنعام والتفضل)[4].

---

(1) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار الكوفية للتشر، 76/24

(2) ينظر: الألوسي :أبو الفضل البغدادي شهاب الدين اسيد محمد الألوسي، روح الهاني في التفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح، سيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، (د-ط)، 2005، [مج 23، 393/12]

(3) ينظر:محمد أبو موسى ،آل حم الجاثية –الأحقاف دراسة في أسرار البيان،مكتبة وهبة ، القاهرة،ط1-2001،ص24

(4) ينظر السيوطي ::جلال الدين أبو عبد الرحمان السيوطي، أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ،لبنان ،ط1-2002م، ص 225

وقد ابتدأت السورة بالإشادة بالقرآن وصفات الله الحسنى وآياته العظمى، ثم عرضت مجادلة الكافرين في آيات الله، والآيات الكونية الدالة على عظمة الخالق، وتبرز في ثناياها حلقة جديدة لم تعرض في قصة موسى من قبل وهي ظهور رجل مؤمن من آل فرعون يخفي إيمانه يصدع بكلمة الحق، وتختم بالحديث عن مآل المكذبين والمتجبرين[1].

أما عن أسباب نزولها فقد ورد في كتاب جلال الدين أبي عبد الرحمان السيوطي "أسباب النزول"[2]:

عن أبي مالك قال في قوله تعالى:﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾ غافر الآية 4 ،نزلت في الحارث بن قيس السهميّ، وعن أبي العالية قال: جاءت اليهود إلى الرسولﷺفذكروا الدجال فقالوا: يكون منا في اخر الزمان فعظموا أمره ، وقالوا : يصنع كذا ، فأمر الله تعالى نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال، وأنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [غَافِر : 56] ، وقول الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يا محمد ارجع عما تقول وعليك بدين آبائك وأجدادك، فأنزل الله قوله تعالى :﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلۡبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرۡتُ أَنۡ أُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٦﴾ [غَافِر : 66].

2-سورة فصلت: ترتيبها واحد وأربعون(41) في المصحف، عدد آياتها أربع وخمسون(54) آية، وسميت فصّلت لأن الله فصّل فيها الآيات ووضح فيها الدلائل على قدرته و وحدانيته .

وتسمى سورة السجدة وسورة حم السجدة لأنها تميزت عن أخواتها بأن فيها سجدة القرآن، وتسمى أيضا سورة المصابيح وسورة الأقوات لقوله تعالى:﴿وقدرنا فيها أقواتها﴾[3].

افتتحت كسابقتها بالحديث عن القرآن الكريم المنزل من عند الرحمان بالحجج الواضحة الدالة على صدق النبي ﷺ، وبينت أنه بشر اصطفاه الله تعالى وخصه بالوحي والنبوة، وعرضت الآيات الكونية الناطقة بعظمة الخالق ،وموقف المكذبين منها، ووضحت عاقبتهم، وبالمقابل تحدثت عن مصير المؤمنين المتقين وإكرام الله لهم[4].

---

(1) ينظر: الصابوني : محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، تفسير القرآن الكريم، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1، [مج3/ 92- 93]

(2) ينظر السيوطي ::جلال الدين أبو عبد الرحمان السيوطي، أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، ص 225

(3) ينظر: بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير[228.227/24]

(4) ينظر : الصابوني، :محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير[مج114/3]

وأورد السيوطي في أسباب نزولها ما يلي[1]:

– قول ابن مسعود عن اختصام ثلاثة، قريشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي ،فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول ؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فُصِّلَت : 22]

– قول بشير بن فتح أن قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فُصِّلَت : 40]، نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر.

– قول القريشيين: لو لا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فُصِّلَت44]

3- سورة الشورى:

ترتيبها هو اثنان وأربعون(42)، وعدد آياتها ثلاث وخمسون (53)آية.

سميت بالشورى تنويها لمكانة الشورى في الاسلام، وتعليما للمؤمنين أن يقيموا حياتهم على هذا المبدأ لما له من أثر إيجابي في حياة الفرد والمجتمع[2]، وهي تتميز عن باقي سور المجموعة كون آيتها الثانية حروف مقطعة أيضا (عسق).

وتبدأ هي الأخرى بتقرير مصدر الوحي والرسالة، وتعرض لحالة المشركين ونسبهم لله عز وجل الذرية والولد، ثم تتحدث عن حقيقة الوحي والرسالة، وبعدها عن المنكرين للبعث والجزاء، كما تبين قدرة الله في الكون، وتختتم بالحديث عن الوحي والقرآن.

وجاء في أسباب نزولها[3]:

---

[1] ينظر:السيوطي : جلال الدين السيوطي ،أسباب النزول ، ص226

[2] ينظر الصابوني :: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير[مج132/3]

[3] ينظر:السيوطي : جلال الدين أبو عبد الرحمان السيوطي ، أسباب النزول ، ص227 ، 228

– قول المشركين لمن بين أظهرهم من المؤمنين قد دخل في دين الله أفواجا فاخرجوا من أظهرنا فعلام تقيمون بين أظهرنا فأنزل الله﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ٦﴾[الشُّورَى : 6]

– قول الأنصار لو جمعنا لرسول الله ﷺ مالا فنزل قوله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ ٢٣﴾ [الشُّورَى : 23] ،فقال بعضهم إنما قال هذا ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم، فأنزل الله قوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٢٤﴾ [الشُّورَى : 24] إلى قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥﴾ [الشُّورَى : 25]، فعرض لهم التوبة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾[الشُّورَى : 25]

– قول علي أن أصحاب الصفة قالوا: لو أن لنا فتمنوا الدنيا ، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ [الشُّورَى : 27].

4- سورة الزخرف:

ترتيبها في المصحف هو ثلاث وأربعون(43)، وهي تسع وثمانون (89)آية.

سميت بهذا الاسم لما فيها من تمثيل رائع لمتاع الدنيا الزائل الذي ينخدع به الكثيرون مع أنه عند الله لا يساوي جناح بعوضة، وأنه ليس مقياسا لاستحقاق المراتب الرفيعة، من محاورها الحديث عن التحدي بالقرآن الكريم، وبيان دلائل قدرة الله في الكون، وعرضت ما كان عليه المجتمع الجاهلي من خرافات ووثنيات، وختمت ببيان أهوال الآخرة[1].

وفيها دعوة المسلمين إلى عدم الاهتمام بالمظاهر و زخرف الدنيا لأنها قد تلهيهم عن مسؤوليتهم في الأرض و تبعدهم عن الدين .

وفي أسباب نزولها ذكر السيوطي[2]:

[1] ينظر الصابوني : محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 149-150

[2] ينظر السيوطي :جلال الدين أبو عبد الرحمان السيوطي ، أسباب النزول ، ص228

– قول قتادة أن ناسا من المنافقين قالوا أنّ الله صاهر الجن فخرجت من بينهم الملائكة ، فنزل قوله﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩﴾[الزُّخۡرُف : 19] .

– قول أبي بكر لطلحة: إلام تدعوني ؟ قال : أدعوك إلى عبادة اللّات والعزى ،قال أبو بكر وما اللّات؟ قال: ربنا، قال: وما العزى؟ قال: بنات الله، قال أبو بكر: فمن أمهم ؟ فسكت طلحة ولم يجبه، فقال هذا الأخير لأصحابه : أجيبوا الرجل ، فسكت القوم ،فقال : قم يا أبا بكر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، و أن محمدا رسول الله ،فأنزل الله ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾[الزُّخۡرُف : 36].

– قول الرسول ﷺ لقريش : « أنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير»، فقالوا: ألست تزعم أنّ عيسى كان نبيا وعبدا صالحا ،وقد عبد من دون الله، فأنزل الله ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ٥٧﴾[الزُّخۡرُف : 57].

– اجتماع قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي وقول أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا؟ فقال آخر: إذا جهرتم سمع ، وإذا أسررتم لم يسمع، فنزل قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾[الزُّخۡرُف : 80]

سورة الدخان: ترتيبها أربع وأربعون (44)في المصحف، وهي سبع وخمسون(57) آية.

وسميت بالدخان لأن الله تعالى جعل الدخان آية لتخويف الكفار، حيث أصيبوا بالقحط والمجاعة بسبب تكذيبهم للرسول، وبعث الله عليهم الدخان حتى كادوا يهلكوا، ثم نجاهم بعد ذلك ببركة دعاء النبيﷺ[1].

افتتحت بنفس فاتحة الزخرف بالتنويه بشأن القرآن وشرفه وشرف وقت ابتداء نزوله ،ليكون ذلك حجة على أنه من عند الله، كما بينت موقف المشركين منه، وإنكارهم للبعث والنشور، وما حل بقوم فرعون من العذاب نتيجة طغيانهم، واختتمت ببيان مصير الأبرار وعاقبة الفجار.

أما عن أسباب نزول هذه السورة ، جاء في أسباب النزول[2]:

[1] ينظر: محمد علي الصابوني،سابق، ص169
[2] نفسه، ص230

– قول ابن مسعود أنّ النبيّ ﷺ دعا على قريش لظلمهم له بسنين كسني يوسف، فأصابهم القحط حتى أكلوا العظام، فصار الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة دخان من الجهد، فأنزل الله : ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ [الدُّخَان : 10]، فأتى إلى الرسول ﷺفقال: استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، فاستسقى فسقوا، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾ [الدُّخَان : 15]، ولما أصابتهم الرّفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾[الدُّخَان : 16].

6- سورة الجاثية :

ترتيب هذه السورة في المصحف هو خمس وأربعون(45)، وهي سبع وثلاثون(37) آية.

وسميت بهذا الاسم بسبب الأهوال التي يلقاها الناس يوم الحساب، حيث تجثو الخلائق من الفزع على الركب في انتظار الحساب ويغشى الناس من الأهوال ما لا يخطر على بال[1].

من المواضيع التي تطرقت إليها بيان مصدر القرآن، وذكر آيات الله الكونية الدالة على وحدانيته، وإكرامه لبني إسرائيل بأنواع التكريم ومقابلتهم الإحسان بالجحود والعصيان، واختتمت بذكر جزاء الله العادل يوم القيامة، حيث يكون الناس فريقيين، فريق في الجنة وفريق في النار.

وجاء في أسباب نزولها[2]:

– قول ابن جبير أنّ قريش كانت تعبد الحجر حينا من الدهر، فإذا وجدوا ما أحسن منه تركوه وعبدوا لآخر ، فأنزل الله قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجَاثِيَة23].

(1) ينظر: الصابوني :محمد علي الصابوني،سابق، ص 170
(2) ينظر :نفسه،ص 231

– قول أبي هريرة بأن أهل الجاهلية كانوا يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار، فأنزل الله ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾[الجَاثِيَة : 24]

– قول ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾[البَقَرَة : 245]، قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص: أحتاج رب محمد ، فلما سمع عمر حمل سيفه وخرج في طلبه، فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي فقال: إنّ ربك يقول: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾[الجَاثِيَة : 14] .

7- سورة الأحقاف:

ترتيبها في المصحف ستة وأربعون(46)، وهي آخر الحواميم، وهي أربع وثلاثون(34) آية.

وسميت بهذا الاسم لأن مساكن عاد الذين أهلكهم الله بطغيانهم وجبروتهم كانت في الأحقاف من أرض اليمن، ابتدأت كأخواتها بالحديث عن القرآن العظيم، ثم دلائل قدرة الله، ذكرت قصة هود مع قوم عاد، واختتمت بقصة النفر من الجن الذين استمعوا إلى القرآن وآمنوا به تذكيرا للمعاندين من الإنس بأسبقية الجن لهم في الإسلام[1].

أما عن سبب نزولها أورد السيوطي[2]:

قول أناس من المشركين نحن أعز ، فلو كان خيرا ما سبقنا إليه فلان أو فلانا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ١١﴾[الأَحۡقَاف : 11]

(1) ينظر: الصابوني :محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 191
(2) ينظر : السيوطي :جلال الدين أبو عبد الرحمان السيوطي ، أسباب النزول، ص233

– قول ابن مسعود إنّ الجن هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القران ، فلما سمعوه قالوا : انصتوا ، فأنزل الله﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأَحْقَاف : 29] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأَحْقَاف:32]

من خلال ما سبق، نلاحظ ما بين هذه السور من روابط نذكر منها:

أ–كلها مكية و هذا ما أكده معظم العلماء، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: « أنزلت الحواميم السبع بمكة »[1]، وعن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال: « نزلت الحواميم جميعا بمكة»[2] .

ب–كلها ابتدأت بالحروف المقطعة (حم) والتي اعتبرها المفسرون سرا من أسرار إعجاز القرآن، يقول محمد محمد أبو موسى:«إن اشتراك هذه السور في كلمة (حم) التي هي رأس كل سورة منها يعني أن بينها أمرا جامعا تختلف به عن بقية السور»[3]، وفي هذا تحدي لهم –وهم أهل الفصاحة والبيان– أن يأتوا بمثله وهو مؤلف من حروفهم، ثم تحدثت عن القرآن الكريم كتاب الله أو وصفه مع اختلاف في الطول والقصر.

ج–كلها ذكرت سيدنا موسى –عليه السلام – ودوره في دعوة قومه من بني اسرائيل إلى الله.

د– كلها ركزت على أهمية الصبر والصفح.

وقد نزلت هذه السور في بداية الدعوة الاسلامية، في وقت كانت في أمس الحاجة إلى ما يقرع الأسماع وما يسكت الأصوات بالوقع الشديد لتعلن عن بداية المعركة بين الكفر والإيمان، بين الحق والباطل، وقد تميزت بأسلوب خاص يلائم متلقي الخطاب وأشد الناس

(1) السيوطي :جلال الدين السيوطي،الدر المنثور في التفسير بالمأثور ،تح:عبد الله المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث العربية الإسلامية و عبد السند حسين يمامة، القاهرة ،ط1-2003،[5/13]

(2) نفسه،ص5

(3) محمد محمد أبو موسى ،آل حم الجاثية – الأحقاف-دراسة في أسرار البيان ،ص24

إنكارا وعنادا، وتمحور خطابها حول أسس الدين من عقيدة التوحيد والنبوة والوحي والبعث والجزاء محاولة الإقناع بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد [1].

إن هذه السور تشكل منظومة سباعية لما تتميز به من التحام وتجانس في الخطاب وتوافق الموضوعات، وتطابق الأساليب وكأنها سورة واحدة، مع احتفاظ كل واحدة منها بخصوصية تميزها عن أختها.

2. تسميات وفضل الحواميم:

1.2- تسمياتها:

للحواميم تسميات وأوصاف عديدة، منها:

- **عرائس القرآن:** عن زر بن حبيش قال: قرأت على علي بن أبي طالب القرآن في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت الحواميم قال : يا زر بن حبيش: قد بلغت عرائس القرآن[2].

- **لباب القرآن:** أخرج أبو عبيد في فضائله عن ابن عباس قال: إن لكل شيء لبابا، وإن لباب القرآن آل (حم)[3].

- **روضات دمثات:** عن أبي مسعود قال: إذا وقعتُ في الحواميم وقعتٌ في روضات دمثات أتأنق فيهن.

وقال أيضا: إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمرّ بأثر غيث، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب فقيل له: إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن، وإن مثل هؤلاء الرّوضات الدّمثات مثل آل (حم) في القرآن[4].

---

(1) ينظرلزيرجاوي : عبد الرحمان فرهود جساس الزيرجاوي،سور الحواميم القرآنية دراسة في دلالة البنية و التركيب،أطروحة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية و آدابها،إشراف فاخر هاشم سعد الياسري، جامعة البصرة العراق،(2012)،ص 3,2

(2) الجرجاني :عبد القاهر الجرجاني، درج الدرر في تفسير القرآن العظيم،تح: طلعت صلاح الفرحان و محمد أديب شكور، دار الفكر، عمان، بيروت، ط1، 2009 [538/27]

(3) السيوطي :جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في تفسير المأثور، [6/13]

(4) نفسه، [6/13]

- **ديباج القرآن:** أخرج أبو عبيد وابن الضّريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي مسعود قال: الحواميم ديباج القرآن[1].

ياسمين العرائس:عن سعد بن إبراهيم قال: "كنّ الحواميم ياسمين العرائس"[2].

- **روضة من رياض الجنة:** أخرج ابن مردويه والدّميليّ عن سَمُرة بن جندب قال:" الحواميم روضة من رياض الجنة[3]

من خلال هذه التسميات يتضح لنا أن هذه السور لها ميزة خاصة فقد دبج وزيّن بها الله عز وجل القرآن الكريم .

2.2- فضل الحواميم:

أوردت العديد من الكتب أالكثير عن فضل الحواميم، وأجر وثواب من قرأها أو حفظها، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة، وأعطاني الراءات إلى الطواسين مكان الإنجيل، وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي»[4].

وقال أبو عبيد حدثني الحجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال:« رأى رجل سبع جوار حسان مزينات في النوم فقال:" لمن أنتن بارك الله فيكن فقلن نحن لمن قرأنا نحن الحواميم»[5].

وأخرج البيهقي عن الخليل بن مرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « الحواميم سبع، وأبواب جهنم سبع، تجيء كل (حم)منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا يدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرؤني»[6].

---

(1) السيوطي جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في تفسير المأثور،[6/13]
(2) نفسه، [6/13]
((3)) نفسه ، ص 6
(4) السيوطي جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في تفسير المأثور،[6/13]
(5) ألقرطبي :أبو عبد الله محمد بن أحمد بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، 2006،[مج18/223]
(6) السيوطي جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، [7/13]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ (حم المؤمن) إلى إليه المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح»[1].

– وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لكل شجر ثمر، وثمر القرآن ذوات (حم) هن روضات مخصبات معشبات ومتجاورات فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم، ومن قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له، ومن قرأ (حم، تنزيل) السجدة و(تبارك الذي بيده الملك) في يوم وليلة فكأنما وافق ليلة القدر »[2].

– روي أن عبد الله بن مسعود روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« من أراد أن يرتع في رياض مونقة من الجنة فليقرأ الحواميم»[3]

ثانيا– مقاصد الحواميم:

1–المقاصد المشتركة للحواميم:

بما أن الحواميم سور مكية – حسب أغلب المفسرين – فهي تسير على نهج السور المكية في إثبات العديد من القضايا كالتوحيد والنبوة والبعث، وغيرها، وتشترك الحواميم فيما بينها في مقاصد عدة[4] وهي :

– بيان أن مصدر القرآن هو الله تعالى.

– بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته.

– بيان جحود الكافرين للتوحيد ودعوة الرسل وتفنيد شبهاتهم.

– بيان مصير المشككين بالوحي والأنبياء والدعوة.

([1]) لسيوطي جلال الدين السيوطي، الدر المنثور ص 13

([2]) ابن عطية : القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير القرآن الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، [/545]سه [9/13[

([3]) السيوطي: جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج8/13

([4]) ينظر : هداية عبد الرحمان محمد الميتاني، العلاقة بين المناسبات و مقاصد القرآن في سور الحواميم،إ.عودة عبد الله وسعيد ابراهيم دويكات، أطروحة ماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا ،جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين ،(س.ج/2020) ص 43,42,41

- بيان مصير المؤمنين في الدنيا والآخرة
- بيان سنة الله تعالى في نصر رسله ودعوتهم إلى الثبات

2- مقاصد القرآن في الحاميمة الواحدة:

كون الحواميم مكية فإنها تسلك مسلك السور المكية في إقرار التوحيد والوحي والبعث والميعاد، إلا أنه لكل سورة محور عام وقضية أساسية تركزعليها من تلك القضايا العقدية الكبرى التي تعالجها المجموعة الحواميمية، وتتفرع عنها قضايا فرعية تخدم الغرض العام للسور، وفي هذا يقول البقاعي:" كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه ...فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتدأ[1]".

كما أكد الباحث أبو موسى أن كل حاميمة تتميز بالتركيز على مضمون بؤري رغم اشتراكها مع أخواتها في مضامين عامة، حيث يقول:" جميع هذه السور المذكورة وإن كانت تنطوي على المعارف الدينية العامة، إلا أن ما تبرز وتتميز فيه مختلف ومتفاوت أي بغض النظر عن المضمون المشترك الذي تمتاز به هذه السور السبع، فإن لكل منها خصيصة تكون سببا لتمايزها فيما بينها"[2].

فغافر تركز على مواقف المشركين المجادلين المعاندين لآيات الله تعالى والوحي الإلاهي بذكرمجادلاتهم وأحوالهم وصفاتهم وعواقبهم الوخيمة، فكأنها معركة بين الحق والباطل والهدى والضلال، فيقول أحمد بن إبراهيم الثقفي: "لما تضمنت سورة غافر حال المعاندين وجاحدي الآيات، وأن ذلك ثمرة تكذيبهم وجدالهم، وكان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها وختمها بذلك "[3].

([1]) البقاعي : إبراهيم لن عمر البقاعي، مصاعد التظر للإشراف على مقاصد السور، ت: عبد السميع محمد أحمد حسين، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1987، [149/1]

[2] عائشة ويلايلا، الانسجام النظمي في القرآن، مجموعة الحواميم أنموذجا، مقال فرنيكا مجلة عالمية لبحوث القرآن، جامعة ملايا، ماليزيا، مجلد6، العدد 2، ديسمبر 2014، ص 19

[3] الثقفي :أحمد بن إبراهيم الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، تج: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، ط1،(د.ت)، ص 158

أمافصلت ركزت على بيان قدر القرآن الكريم وعظمته وحجيته وأنه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالم، يقول الثقفي:" تضمنت هذه السورة العظيمة بيان عظيم الكتاب وجلالة قدره وكبير الرحمة به ما لا يوجد في غيرها من أقرانها"[1] .

في حين نجد أن الموضوع الأساس للشورى هو التأكيد على الوحي الإلاهي ، لذلك افتتحت بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾ [الشُّورَى : 3]، تكررت الإشارة إلى الوحي في الآية السابعة ،ليأتي التصريح بطبيعة هذا الوحي الإلاهي وبيان حقيقته في الآية 51 .

والزخرف محورها العام هو تفنيد النظرة المادية للحياة التي تكون سببا في صرفهم عن القرآن والتوحيد، وإبطال المعتقدات الوثنية للمشركين في نسبهم الولد لله تعالى، وتتضمن تنزيهه جل وعلا عن الولد[2].

أما الدخان فمقصدها العام هو الإنذار بالهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الحكيم من الخير والبركة، فقد هددهم الله بآيتين من العذاب لهم من جهة السماء في صورة دخان، وهددهم بالانتقام بالبطشة الكبرى لكذبهم[3].

الجاثية: يكاد يكون المحور الذي تدور حوله هو إقامة البراهين والحجة على وحدانية الله عز وجل[4].

الأحقاف: محورها إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة، وإنذارهم بالعذاب الدنيوي والآخروي وعدم إغناء ما عبدوه عنهم[5].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن كل سورة من سور الحواميم هيحلقة من نظام متكامل.

([1]) لثقفي أحمد بن إبراهيم الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن ، ص159
([2]) ينظر:البقاعي : إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي،مصاعد الدرر على مقاصد السور،ص466
([3]) ينظر: نفسه،ص471
([4]) ينظر: نفسه 474
([5]) ينظرنفسه ص474

ثالثا- العلاقات بين سور الحواميم:

1.علاقة السورة بالسورة التي بعدها:

الملاحظ في هذه السور وجود روابط تربط السورة بما بعدها، لتشكل فيما بينها نسيجا من العلاقات، مما يجعلها تُكوّن وحدة موضوعية وكأنها سورة واحدة، ومن بين هذه العلاقات ما يلي:

1.1-علاقة تعقيبية[1]:

حيث نجد في السورة آيات تعد تعقيبا على ما سبق ذكره في السورة التي قبلها، ومن ذلك ان سورة فصلت قد اختتمت بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ٥٤﴾ [فُصِّلَت : 54]،فجاء التعقيب على هذا القول في مفتتح الشورى بقوله تعالى ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الشُّورَى: 5]، يقول الثقفي: " أعقبها سبحانه بتنزيهه وتعاليه عن ريبهم وشكهم"[2]، وتكرر في فصلت ذكر إعراض المشركين وتكبرهم، فجاء تعقيب ذلك في أول الشورى﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن﴾ [الشُّورَى : 13].

1. 2- علاقة تكميلية[3]:

يكون ذلك بإيراد قضية في السورة الأولى وإكمال جوانبها في السورة بعدها ، ومن أمثلته ما بين سورة الشورى والزخرف، فجاء قوله تعالى في أواخر الشورى﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠﴾ [الشُّورَى: 49- 50] وقد جاء تكميلا

([1]) نظرلثقفي : إبراهيم الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص 161

([2]) نفسه، ص 161

([3]) ينظر:عائشة ويلايلاك، مقال: الانسجام النظمي في القرآن مجموعة الحواميم أنموذجا، قرآنيكا ، مجلة عالمية لبحوث القرآن، مجلد6،العدد2،ديسمبر2014،جامعة ملايا، ماليزيا،ص143,142 وإبراهيم الثقي، البرهان في تناسب القرآن، ص 162

ذلك في الزخرف بقوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧﴾ [الزُّخۡرُف : 17]يقول الثقفي:« فكمل الواقع هناك بما تعلق به»[1]

ومنها أيضا قوله في الشورى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ [الشُّورَى : 27] وجاء تكميل هذه القضية في لزخرف بقوله تعالى ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣﴾ [الزُّخۡرُف : 33].

والملاحظ أيضا في هذه السور أن قصة سيدنا موسى عليه السلام وردت فيها متناثرة، وتبدأ في كل سورة من حيث انتهت في السورة التي قبلها ،حيث بدأت في غافر ببيان أن الله أرسل موسى بآيات وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا أنها سحر وعارضوها؛ فهموا بقتله، فظهر رجل صالح يدافع عن موسى عليه السلام، وخاطب الشعب بحرص ووعي، وبالتي هي أحسن وبتذكيرهم بتاريخ الأمم السابقة، لكن فرعون ظل منكرا ومعارضا في غطرسة وسفه وتعال، فلما رأى الرجل الصالح أنه لا فائدة منه، ولم يجد جماعة صادقة تنظم إليه وتساعده، فآثر الصمت، وقال: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾ [غَافِر : 44]وانتهى المشهد الأول من القصة .

لتستأنف في سورة الزخرف– حيث لم تذكر في فصلت ولا في الشورى – فتناولت قصة ابتلاء الله لفرعون وملئه وأن الله سلط عليهم الطوفان والجراد والقمل ...– وقد أوجزت الزخرف ما جاء مفصلا في الأعراف – ولما أدركوا أنه لا كاشف له إلا الله طلبوا من موسى أن يدعوه ليكشف عنهم العذاب ففعل موسى واستجاب الله لدعائه، ولما رأى فرعون أن القوم مالوا نحو موسى عليه السلام، خطب فيهم خطبة هاجم فيها موسى واتهمه بأنه يزعزع استقرارهم وأنه يريد تضليلهم، واستدرك بها فرعون حال من رفضه واستخف بهم فأطاعوه، ثم انتهت الزخرف ملخصة نهاية هؤلاء بإيجاز﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥﴾ [الزُّخۡرُف : 55].

(1) إبراهيم الثقي، البرهان في تناسب القرآن، ص 162

ثم جاءت الدخان وبدأت بتفصيل هذا الابتلاء، ثم زادت شيئا لم يذكر في غافرولا في الزخرف وهو نجاة بني إسرائيل من فرعون وإكرام الله لهم أيما إكرام وانتهى هذا الجزء من القصة هنا، وبقي الكلام مبهما، كيف تكون ردة فعلهم بعد هذا الإكرام[1]، وقوله : ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ٣٣﴾ [الدُّخَان : 33] لم يبين البلاء المبين، ولم يبين نتيجة هذ الاختيار.

ثم تأتي الجاثية لتوضح ذلك وبأنه الكتاب والحكم والنبوة، وأن النتيجة كانت اختلافهم بعد ما جاءهم العلم ، فتوعدهم الله أنه سيقضي بينهم يوم القيامة، ليتواصل التهديد والوعيد في الجاثية معطية صورة لعذاب هؤلاء المنكرين، فكان ما جاء في الجاثية امتداد لجزئية الدخان[2]، يقول محمد أبو موسى:" فلو وصلت لأخر ما في الدخان بأول ما في الجاثية لاستقام لك ذلك"[3].

ومن أمثلة ذلك أيضا، ما جاء في سورة الجاثية في تصوير عذاب أهل الضلالة فهو امتداد لصورته في الدخان، حيث أن أهل الضلالة في الدخان يعذبون في صمت شديد، لا تسمع منهم كلمة ولا توجه إليهم كلمة ،وإنما ترى الشجرة طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون، والله يأمر أهل الزبانية بأن يأخذوه فيغلوه إلى سواء الجحيم ، وكل ذلك يحدث في جو مليء بالرعب والصمت، ومن خلاله يأتي صوت توبيخ يقول ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ [الدُّخَان : 49]، و البئيس يذوق الجحيم و لا ينطق.

و تأتي الجاثية لتحرك صورة العذاب الصامت ببيان السبب الذي أوصلهم إلى هذا المآل الوخيم، و كان فيها من التوبيخ والتقريع ما كان، حيث قال تعالى ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾ [الجَاثِيَة : 31- 32]، و﴿قِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤﴾ [الجَاثِيَة : 34] ،هذا القول بمثابة إغلاق باب الجحيم عليهم والانصراف عنهم وتركهم فيه يصطرخون .

---

[1] ينظر: الصالوني محمد علي الصالوني، صفوة التفاسير، ص 114

[2] ينظر: محمد أبو موسى، آل حم الجاثية والأحقاف دراسة في أسرار البيان، ص 44-45

[3] نفسه، ص 46

فكان ما في سورة الجاثية من تصوير لعذاب إجابة عن سؤال أثارته صورة العذاب الصامت في الدخان و وهو : ما الذي أوصلهم إلى الهول الذي هم فيه ؟

1. 3-علاقة تفصيلية[1] :

وهو أن يرد في سورة القول مجملا ثم يأتي تفصيله في السورة التي بعدها، ومثاله ما تضمنته سورة فصلت من بيان هلاك من عاند وكذب ممن كان قبلهم وأشد قوة منهم، وهم الذين جاء ذكرهم مجملا في آيتين من سورة غافر، قوله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١﴾ [غَافِر : 21]، و﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ [غَافِر : 82] ،فقال تعالى في سورة فصلت مفصلا لبعض ذلك الإجمال: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣﴾ [فُصِّلَت : 13]، وقوله: ﴿فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥﴾ [فُصِّلَت : 16]، ثم قال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧﴾ [فُصِّلَت : 16- 17].

1. 4-علاقة تتبيعية[2]:

وهو إذا ذكرت قضية جيء فيما يتلوها تتبيع ذلك بالاستدلال بصور أخرى من الأدلة تثبتها، كقوله: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣﴾ [الجَاثِيَة : 3]، فبعد أن ورد في السور الثلاث قبلها إيضاح أمر الكتاب، وأنه هدى وحجة على المنكرين، ولما عارضوه ولم يؤمنوا به، جاء بحجج أخرى تمثلت في آيات الله المرئية في الكون وفي الآفاق والأنفس، فلما ذكر تعالى خلق السموات والأرض أتبع ذلك بذكر ما بث في الأرض فقال: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ

[1] ينظرلثقفي : إبراهيم الثقفي، البرهان في تناسب القرآن، ص 160-163
[2] إبراهيم الثقفي، البرهان في تناسب القرآن ص 164

وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوۡمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ [الجَاثِيَة : 4]، ثم قال: ﴿وَٱخۡتِلَـٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٥﴾ [الجَاثِيَة : 5]، ثم قال: ﴿تِلۡكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ [الجَاثِيَة : 6]، أي علاماته و دلائله .

1. 5-علاقة إرداف[1]:

وهي ذكر قضية وذكر أدلة وحجج عليها، أو ذكر جوانب منها، ثم إرداف تلك الحجج بأخرى أقرب في الإثبات والتقريع، ومثاله ما جاء في سورة الجاثية، فبعدما ذكر ما تضمنه خلق السموات والأرض وما فيهما ما لا ينتهي من أدلة واضحة، فلم يعتبروا بذلك، فأردف تعالى بتقريعهم وتوبيخهم حيث قال: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَـٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾ [الجَاثِيَ : 7- 9] .ثم قال: ﴿هَـٰذَا هُدٗىۖ﴾ [الجَاثِيَة : 11]مشيرا إلى الكتاب وتوعد من يكفر به ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ [الجَاثِيَة : 11]، ثم أردف ذلك بذكر نعمه عليهم زيادة في التوبيخ، وهكذا التحمت آيات السورة فيما بينها مشكلة نسيجا حجاجيا فيه ما فيه من التقريع والتوبيخ والتهديد.

وكذلك بعد ما اورد الله تعالى ما أورده في سورة الجاثية من توبيخ من كذب بآيات الله، وذكر فيها من الأدلة القائمة بالحجة عليهم، لكن دون جدوى، فتمادوا في ضلالتهم، أردف ذلك بسورة الأحقاف مبينا سوء عملهم مع زيادة في ذكر الحجج والأدلة لكنهم عموا عن آيات الله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ [الأَحۡقَاف : 3]، ثم ذكر عنادهم عند سماع الآيات وهكذا إلى آخر السورة، فكان الكلام عبارة على نسق متكامل من الحجج.

ومما سبق يظهر لنا أن الحواميم تمثل وحدة متكاملة وسلسلة مترابطة الأطراف، وكل سورة تمثل حلقة من هذه السلسلة، مما جعلها تبدو وكأنها سورة واحدة.

إن هذه العلاقات تكشف لنا عن تآلف كل سورة من هذه السور مع السورة التي قبلها والسورة التي بعدها ، وهو ما حقق اتساق الموضوعات المطروحة فيها والانسجام بينها.

[1] ينظر: إبراهيم الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، ص 164-165

2. العلاقة بين فاتحات السور و خواتيمها :

إن المتتبع لسور القرآن الكريم يلحظ وجود علاقة بين فاتحة السورة وخاتمتها، وقد أشار إلى ذلك مفسرو ودارسو القرآن، أمثال البقاعي حيث يقول:" فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه ابتدأ"[1]، وأبو حيان الأندلسي القائل:" وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء"[2] .

كما اهتم السيوطي بهذه القضية، بل خصص لها مصنف مستقل وسماه بـ" مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع" فيقول فيه: "هناك تناسب آخر عجيب في القرآن، وهو ما يرى من التآلف والتعانق بين مطلع السورة وخاتمتها في جمهور سور القرآن ...ينبئ عن سبيل من سبل الإعجاز البياني للقرآن فبينما تجد السورة تتناول موضوعات شتى، وتطوف بقضايا مختلفة من أحاديث العقيدة والعبادات والمعاملات والجهاد وتنظيم الأسرة والمجتمع فإنك لا تعدم في نهاية المطاف وفي آخر السورة أن تجد آصرة قوية و وشيجة متبنة بين مطلع السورة وخاتمتها"[3] .

وهذه العلاقة قد تكون لفظية أو معنوية، ومن أمثلة ذلك في سور الحواميم[4] :

في سورة غافر:

قوله تعالى في بدايات السورة : ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غَافِر : 14]، وفي خاتمتها قوله﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ٦٠﴾ [غَافِر : 60]،و قوله أيضا في مطلعها :﴿* أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [غَافِر : 21] وقوله في خاتمتها: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ ٨٢﴾ [غَافِر : 82]،هذا من الناحية اللفظية .

---

(1) البقاعي، مقاصد النظر للإشراف على مقاصد السور، ص 149

(2) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص 365

(3) السيوطي جلال الدين السيوطي، مراصد المطالع في مناصب المقاطع والمطالع، قرأه وتممه عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، ص 140

(4) ينظر نفسه، ص 62-65

أما من الناحية المعنوية فإن السورة بدئت بالحديث عن المكذبين وبيان حالهم ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾ [غَافِر : 4] وختمت بتهديدهم وأنه لا ينفعهم ما يملكون لأنه فان وإلى خسار، قوله سبحانه: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ [غَافِر : 82- 85]، فكانت نهايتهم الخسارة في الدنيا والآخرة.

في سورة فصلت:

قوله تعالى في أولها: ﴿بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤﴾ [فُصِّلَت:4] ، وقوله في خاتمتها: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ٥١﴾[فُصِّلَت: 51] كما أنها افتتحت بالحديث عن القرآن وتعظيمه واختتمت بذلك أيضا وأنه من عند الله بقوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٢﴾ [فُصِّلَت: 52].

سورة الشورى :

افتتحت بالإشارة إلى الوحي بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾ [الشُّورَى: 3] واختتمت بذلك أيضا ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشُّورَى : 52]

سورة الزخرف:

ابتدئت السورة بقوله تعالى: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ٥﴾ [الزُّخۡرُف: 5] وفي آخرها﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾ [الزُّخۡرُف : 89] ،

وكذلك قوله في بدايات السورة ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزُّخْرُف : 9] وقوله في أواخر السورة : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٨٧﴾ [الزُّخْرُف : 87] .

الدخان: بدئت بذكر القرآن بقوله جل وعلا:﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الدُّخَان : 1- 2] واختتمت به بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ [الدُّخَان 58]، وكذلك قوله في مطلع السورة ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدُّخَان: 10] وقوله أيضا في خاتمة السورة : ﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ [الدُّخَان : 59].

الجاثية: في صدرها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ [الجَاثِيَة : 9] وفي آخرها: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [الجَاثِيَة : 35]، وكذلك افتتحت بذكر اسمين كريمين لله عز وجل (العزيز الحكم) واختتمت بحمده سبحانه وتعالى وتعظيمه وأنه العزيز العليم.

كما أن هذه السورة اختتمت بآيات كانت بمثابة الرد على ما ورد في أولها، فقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝٣١﴾ [الجَاثِيَة :31]،هي رد على قوله تعالى: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ آية 6، وقوله في آخر السورة : ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة﴾ هي رجوع إلى قوله﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾الآية 24، فكانوا حين يذكّرون بالساعة يجيبون في غطرسة واستخفاف م الساعة؟.

الأحقاف:

ذكر في بدايتها خلق السموات والأرض وفي خاتمتها أيضا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾ [الأَحْقَاف : 33]، كم بدئت بالحديث عن القرآن والثناء عليه وختمت بوصفه بأنه بلاغ للناس، كما افتتحت بالإخبار عن إعراض الكفار عما أنذروا به وختمت بالإخبار عن هلاكهم.

مما سبق تبين لنا أن فاتحة كل سورة ونهايتها يمثلان طرفا سلسلة وما بينهما حلقات محكمة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على التحام موضوعات السورة القرآنية لخدمة المقصود واحد .

رابعا- النسيج الحجاجي في سور الحواميم من خلال المقاصد:

1-**مصدر القرآن الكريم** : و يظهر من خلال التناسب بين فواتح سور الحواميم، وهي حجة تبين أن مصدر القرآن هو الله عز وجل ،وأنه لو كان كلام البشر لاستطاع العرب نظم مثل هذا الكلام أو حتى فهم المقصود من الحروف الأولى (حم)رغم كونها مكونة من حرفين فقط من حروف العربية ؛أو استطاعوا الاتيان بمثل هذا الكلام، وهذه الفواتح هي كاتالي:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢﴾ [غَافِر : 1-2]،

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾[فُصِّلَت : 1-3]

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾[الشُّورَى:1- 3]

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزُّخْرُف : 1-4]

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجَاثِيَة : 1-2]

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [الأَحْقَاف : 1-2]

فمن خلال فاتحة كل سورة من سور الحواميم ؛ يتضح لنا النسيج الحجاجي بينها في بيان مصدر القرآن الكريم، فكأنه سبحانه ذكر عقب قوله (تنزيل) الأسماء (من الله العزيز العليم) في غافر؛ و(مِّنَ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)في فصلت ، و(مِنَ ٱللَّهِ ٱلعَزِيزِ ٱلحَكِيمِ) .في كل

من الجاثية والأحقاف لكونها حجة دالة على أن أفعاله سبحانه وتعالى حكمة وصواب ،ومتى كان الأمر كذلك؛ لزم أن يكون هذا التنزيل حكما وصوابا[1].

فقد ذكر عز وجل في غافر الكتاب ؛بصفة مجملة ،ثم فصل في فصلت هذا الكتاب ،حيث بينت تقسيم القرآن الكريم إلى آيات مفصلة حيث قال تعالى : ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [فُصِّلَت : 2- 3]

وسميت أجزاء السور آيات، فإنها دليل على أنها موحى بها من عند الله للنبي صلى الله عليه وسلم ،لأنها تشتمل على ما هو من الحد الأعلى في بلاغة نظم الكلام ولوقوع الآية مع غيرها من الآيات جعله الله حجة على أن القرآن منزل من عند الله وليس من تأليف البشر ،وفي بداية سورة الشورى، قوله تعالى :﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشُّورَى/ 1-3] تأكيد أن القرآن الكريم أنزله الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ ،عن طريق الوحي ، وفي الزخرف حجة على أن القرآن ذا شرف عظيم ’؛ فقد أقسم الله تعالى به لعظم شأنه ،وأعظم ما اشتملت عليه سورة الزخرف من مقاصد وأغراض التحدي بإعجاز القرآن لأنه آية صدق الرسول ﷺ فيما جاء به والتنويه به عدة مرات وأن الله أوحى به لتذكيرهم[2] . وفيها قال بحانه وتعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ وقسمه سبحانه وتعالى بالأشياء لما لها من جلالة ؛وما فيها من الحكم والتنبيه على النظر فيما أودعها من أسرار أهلها للقسم بها ،والتأكيد على أن هذا القرآن تنزيل من الله سبحانه وتعالى ؛على سيدنا محمد ﷺ ليكون هدى ونورا للناس. وفي سورة الدخان؛ بالإضافة إلى القسم بالقرآن ذكر زمن نزول القرآن ،وهي تدل على ابتداء نزول القرآن كان في ليلة وجاءت نكرة للتعظيم.

ثم جاءت سورتا الجاثية والأحقاف ،لتثبت تحدي إعجاز القرآن ،وبأنه موحى به من الله عز فهذه الآيات حجج تؤدي إلى نتيجة مؤداها: أن القرآن الكريم كتاب منزل من الله على سيدنا محمد ﷺ وأنه ليس بكلامه، أما التوجيه الحجاجي هو التأكيد على أن مصدر القرآن هو الله عز وجل.

---

[1] ينظر الرازي : فخر الدين الرازي الشهير بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب ، ط1 (1401هـ-1981م)دار الفكر للطباعة والنشر، ج 2 ،ص26

[2] نفسه ، ج 158/2

2-**بيان جحود الكافرين للتوحيد ودعوة الرسل وتفنيد شبهاتهم** :من أبرز صور النسيج الحجاجي بين سور الحواميم اشتراكها في مقصد بيان مجادلة الكافرين حول وحدانية الله ودعوة رسله ؛ ويتجلى ذلك من خلال قوله تعالى:

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾ [غَافِر /4]

﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾ [غَافِر /5]

﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ٣٥﴾ [غَافِر /35]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [غَافِر /56]

﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٦٣﴾ [غَافِر /63]

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩﴾ [غَافِر /69]

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾ [فُصِّلَت : 5]

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥﴾ [فُصِّلَت : 15]

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ١٦﴾ [الشُّورَى : 16]

وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥﴾ [الشُّورَى : 35]

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزُّخۡرُف /31-32]

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾ [الدُّخَان /38-39]

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٩﴾ [الجَاثِيَة : 6- 9]

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأَحْقَاف : 7]

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأَحْقَاف : 3] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأَحْقَاف / 4] .

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير «بما تضمنت سورة غافر بيان حال المعاندين وجاحدي الآيات وإن ذلك ثمرة تكذيبهم وجدالهم وكان بناء السورة على هذا الغرض.»[1]،حيث بين سبحانه وتعالى أن حال المجادلين في آيات الله كعاقبة الذين كفروا بآيات الله ،وذلك لما حق عليهم العذاب وسبق لهم في أم الكتاب[2].

فقد جاء في سورة غافر تخصيص المجادلة في آيات الله على الكافرين حيث قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾ [غَافِر : 4]،ثم بين نتيجة هذا الجدال وهو العقاب الذي يسلطه الله عليهم ، حيث قال تعالى : ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾﴾ [غَافِر : 5] ، فبين الغرض من جدالهم وهو إبطال الحق ،ثم بين في سورة غافر أيضا عظم الجدال في آيات الله، عند الله عز وجل وعند المؤمنين، لأنه مغالطة فهم لا يستندون إلى حجج، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾[غَافِر : 35]، ثم فصل الله في سبب جدالهم الذي يعود إلى الكبر الذي يؤدي بصاحبه إلى الهلاك ، فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غَافِر : 56] :، لتأتي سورة فصلت ، حيث فصل عز وجل في بيان جدالهم وعرض حججهم المؤسسة على الهوى والمغاطة ، حيث قال عز وجل : ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [فُصِّلَت : 5]، بعد عرض حججهم في فصلت ، بين عز وجل في الشورى عاقبة هذا الجدال الباطل،وهو نيل عذاب الله عز وجل ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ

(1) البقاعي : برهان الدين البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،سابق ،ص 138
(2) نفسه ص 5

فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الشُّورَى : 16] ، ليعود في سورة الزخرف ليبين سبب إنكارهم لرسالة الرسول محمد ﷺ،وذلك لتعلقهم بالدنيا وملذاتها من التباهي بالمظاهر والأموال،وجعلوها أساس بناء الإنسان وتكوين مكانته بينهم ،حيث قال عز وجل على لسانهم : ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّخۡرُف : 31] ، فقد تمادى الكفار في نكرانهم لشخص النبي ﷺ ،فقالوا هذا القرآن عظيم الشأن ،فهو بحاجة إلى شخص ذا مال وجاه في قومه فرد الله تعالى بقوله : ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزُّخۡرُف : 32]، وبعد تفصيله في سبب جحود المشركين في الله ، ثم في صدق نبوة الرسول محمد ﷺ، جاءت سورة الدخان لتبين سبب إنكارهم وجحودهم بآيات الله ،بعد مجادلتهم بالأدلة العقلية ،وبيان مغالطتهم واستنادهم لأدلة واهية ، فعرض الله عز وجل الحجج الحسية الدالة على مغالطتهم في الدين كخلق السماوات والأرض، حيث ذكرت أن المعرضين عن القرآن قد ألهاهم العلو والاستهزاء والتنمر عن التدبر في آيات الله ، فحق عليهم دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعذاب الجوع إيقاضا لبصائرهم بالأدلة الحسية حين لم تنجح فيهم الأدلة العقلية[1]. حيث قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدُّخَان : 38- 39] ،ولما تواصل إعراضهم ، بين نتيجة هذا الإنكار في سورة الجاثية ، وأن هذا العناد في آيات الله يؤدي بهم إلى الهلاك فقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾﴾ [الجَاثِيَة : 7- 9]

، وفي الأحقاف بعد إدحاض جميع حججهم ،وبيان مغالطتها بالأدلة العقلية والحسية، رغم ذلك استمر جدال المشركين في آيات الله ، فبين الله عز وجل ذلك في قوله : ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾[الأَحۡقَاف : 7]

[1] ينظر السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، ، بحر العلوم ، ت علي محمد معوض وعادل أحمد عبج الموجود ،دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ، ط1[1413هـ-1993 م] [ج3/ 215]

فهذه آيات بيان جحود الكافرين ونكرانهم للبعث ؛ وجعلهم شركاء لله ، وجعل الملائكة بنات الله حجة نتيجتها : إبطال حجج المشركين ،وبيان مصير المكذبين والجاحدين للبعث، والتوجيه الحجاجي الدعوة إلى التوحيد وعدم الشرك بالله والايمان بالرسل والبعث والحساب .

3- بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته: استدل الله سبحانه وتعالى بمظاهر قدرته في الكون في سور الحواميم ،لدحض حجج المشككين في قدرة الله والجاحدين لآياته ،ومن الآيات الدالة على قدرة الله تعالى :

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غَافِر: 13]

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غَافِر: 57]

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [غَافِر: 61-62]

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غَافِر : 64-65]

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾[غَافِر:67-68]

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ [غَافِر 79-81]

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾[فُصِّلَت: 9-11]

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فُصِّلَت: 16]

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فُصِّلَت: 37]

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩﴾ [فُصِّلَت : 39]

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤ ﴾ [الشُّورَى : 4]

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩﴾[الشُّورَى:9]

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٢﴾ [الشُّورَى : 11- 12]

﴿لَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ ٢٩﴾[الشُّورَى: 27- 29]

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ ﴾ [الشُّورَى : 32- 33]

﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠﴾ [الشُّورَى : 49- 50]

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ [الشُّورَى: 53]

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١١ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣﴾ [الزُّخۡرُف : 11- 13]

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزُّخْرُف : 84-85]

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾ [الدُّخَان : 7- 8]

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدُّخَان : 38- 39]

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾[الجَاثِيَة:2- 5]

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجَاثِيَة : 12- 13]

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[الجَاثِيَة:26- 27]

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجَاثِيَة : 36- 37]

﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأَحْقَاف : 3]

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأَحْقَاف 26]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأَحْقَاف : 33]

في هذه الآيات بيان تفرد الله تعالى بصفات الكمال ويذكر عباده بعظيم نعمه عليهم ،ففي سورة غافر يبين الله سبحانه أنه هو القادر على انزال الماء ،والله الذي سخر لهم الأنعام فقد عرض الله دلائل عزته وفي الكون آيات وبين أيديهم آيات[1]، ، فخلق الإنسان والسماوات والأرض ،وجاءت بصيغة المضارع (يريكم) و(ينزل)،ليدل على الاستمرارية والتجدد في الدنيا[2]، والليل والنهار وهما تكوينان عظيمان دالان على عظيم قدرة مكونهما ومنظمهما وجاعلهما متعاقبين وبدأ سبحانه الاستدلال بالأكوان العلوية وآثارها السفلية ،فالسماء ينزل منها الماء على الأرض التي يعيش عليها الإنسان والأنعام وسائر الكائنات الموجودة على الأرض والتي ينتفع بها الإنسان ،ثم بين انتقال الإنسان من كونه ترابا إلى كونه نطفة ثم علقة ثم طفلا ، إلى بلوغ الأشد ثم إلى الشيخوخة، فاستدل سبحانه على وجود الإله القادر.

ثم في سورة فصلت كذلك بين عز وجل مظاهر تفرده بالألهية حيث بين كمال قدرته وحكمته في خلق السماوات والأرض في مدة قليلة ،فبعد ذكره للتفاصيل قال سبحانه (ذلك تقدير العزيز العليم)، والعزيز دلالة على كمال القدرة ،والعليم إشارة إلى كمال العلم[3].

كما ذكرت سورة الشورى دلائل قدرة الله وعظمته، وذلك من خلال آيات كثيرة كخلق السماوات والأرض وتسبيح الملائكة لله ،وإحياء الموتى ،وخلق الأزواج من الانسان والأنعام وانزال الغيث ،والجواري في البحر(السفن)،وانجاب الذكور أو الإناث أو العقم، وهي آيات دالة على بديع صنع الله تعالى وعظيم قدرته المقتضية انفراده بالإلهية وهي آية خلق العوالم العظيمة ،وما فيها مما هو مشاهد للناس[4].

ومن مقاصد سورة الزخرف بيان مظاهر قدرة الله وعظمته ،فوجه سبحانه الكلام ،فتخلص من الاستدلال على تفرده بالإلهية بأنه خالق السماوات والأرض ، إلى الاستدلال بأنه المنفرد بإسداء النعم التي بها قوام حياة الناس[5]، ثم الاستدلال بخلق وسائل الاكتساب لصلاح المعاش ،وذكر منها وسائل الانتاج وأتبعها بوسائل الاكتساب بالأسفار، وقد تأكد انفراده بربوبية أعظم الموجودات ثلاث مرات بقوله ﴿رب العرش﴾ و﴿هو الذى فى السماء إله وفى

(1) البقاعي :برهان الدين البقاعي نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،سابق ،ج21/7
(2) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ،سابق ص184
(3) ينظر الرازي مفاتيح الغيب ، ص 105-112
(4) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير ،سابق ص98
(5) نفسه ، ج168/25

الأرض إله﴾ وقوله ﴿الذى له ملك السماوات والأرض وما بينهما﴾وهذهالآيات تدل على تصرفه عز وجل في هذه الأكوان، وفي سورة الدخان ذكر الله مظاهر انفراده بالربوبية ،وكذلك الاستدلال على قدرته وعظمته سبحانه وتعالى ، وأن الحياة والموت بيده وحده.

كما كان من أغراض سورة الجاثية إثبات انفراد الله تعالى بالإلهية بدلائل ما في السماوات وما في الأرض من آثار خلقه وقدرته في جواهر الموجودات واعراضها وإدماج ما فيها من نعم يحق على الناس شكرها[1].

فهذه الآيات بيان قدرة الله وعظمته .التي تعتبر حجة دالة على عظيم صنع الله تعالى.

نتيجتها تنزيه الله وتوحيده؛ عن طريق شكر نعمه والتوجيه الحجاجي هو الدعوة إلى الإيمان بقدرة الله.

4- بيان مصير المشككين بالوحي والأنبياء والدعوة:

وردت في الحواميم آيات تشترك جميعها و تتدرج في بيان هذا المقصد ، وهي كالتالي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠﴾ [غَافِر : 10] ،وقوله: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾ [غَافِر : 18]

فصلت: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦﴾ [فُصِّلَت : 16] وقوله تعالى :﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧﴾ [فُصِّلَت : 17] وفى قوله :﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾ [فُصِّلَت : 27]

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ١٦﴾ [الشُّورَى : 16]

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥﴾ [الزُّخرُف: 74- 75]

[1]بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير ص324

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الدُّخَان : 40- 41]

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الجَاثِيَة : 7- 11]

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأَحْقَاف : 20]

فهذه الآيات تتدرج في بيان مآل المشككين والمكذبين، حيث ذكره تعالى في سورة غافر إجمالا ثم فصل فيه في بقية السور فمقتهم لأنفسهم تمثل في حرمانها من الإيمان الذي هو سبب الصلاح والفلاح ،فغضب عليهم الله مما أوقعهم في العذاب ، كما يبين شدة الفزع الذي يصيبهم فقلوبهم لدى الحناجر فحبست نطقهم، وأصبحوا يستنجدون بأي نوع من الخروج وبأي سبيل فكلمة خروج جاءت نكرة لتدل على كل أنواع الخروج وكذلك كلمة سبيل، لتدل أنه لا مفر ولا مخرج من هذا العذاب فهو مثوى لهم[1]، زد على ذلك أنه لا يوجد شفيع يشفع لهم عند الله، وفي سورة فصلت فصل في هذا المصير، ضاربا مثلا بمصير الأمم السابقة، وما حل بهم في الدنيا من عذاب شديد فقد سلط عليهم ريحا شديدة الصوت، قبل عذاب الآخرة الذي هو أشد وأخزى، كما ورد فيها مظهر آخر وهو شهادة جلودهم وسمعهم وأبصارهم عليهم مما عزز هذا العذاب وزادهم خزيا وتنديما[2]، وفي الشورى والزخرف زيادة تأكيد هذا العذاب وفي الدخان ذكر تعالى شجرة الزقوم وهي شجرة ثمرها كريه تعافه الناس، ولا يتناوله المرئ إلا مرغما من ذي جبروت[3] وكلمة أثيم صيغة مبالغة تدل على الحالة الدائمة كما يؤكد تعالى أنهم مقيمون فيه ولا يخفف عنهم، ولا ناصر لهم منه .

---

(1) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير[207,99,95/24]

(2) ينظر:نفسه، ص267

(3) ينظر: محمد أبو زهرة،المعجزة الكبرى القرآن نزوله-كتابته-جمعه-إعجازه-تفسيره،دار الفكر العربي (د.ط)،ص124,123

أما سورة الجاثية فكانت إيذانا بالخاتمة ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ كما عرض تعالى سبب هذ العذاب وهو جحودهم وتشكيكهم بالوحي ليكون حجة عليهم، وفيها زيادة في التقريع (ويل لكل أفاك أثيم)[1]، وفي الأحقاف تكتمل مشاهد هذا المصير بقوله (اليوم تجزون عذاب الهول) وهو عذاب الذل والمهانة.

فنجد أن الحواميم تعرض مصير الجاحدين والمشككين بالوحي المكذبين للرسل، وتتدرج في بيان ما ينالهم من عذاب مادي يتمثل في عذاب جهنم، عذاب معنوي يتمثل في ندمهم واعترافهم بذنوبهم ولومهم أنفسهم بإيراد الحجج لعلهم يقتنعون و يقلعون عما هم فيه،لتكون نسيجا حجاجيا نتيجته تخويف النفوس وترهيبها من مصير المكذبين أما التوجيه الحجاجي فهو التحذير من تكذيب الوحي والرسالات والأنبياء عليهم السلام، والدعوة إلى الإيمان بالله والوحي والرسل.

5. بيان مصير المؤمنين في الدنيا والآخرة:

جاءت آيات عديدة و متفرقة في السور تخدم هذا المقصد ، و هي كالتالي:

﴿وَقَال ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾ [غَافِر : 30- 32]

وردت في الحواميم آيات متفرقة تؤكد على مقصد بيان مصير المؤمنين في الدنيا والآخرة ،فسورة غافر ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غَافِر : 7] افتتحت ببيان الشرف العظيم الذي يناله المؤمنون وهو دعاء أعظم طبقات الملائكة- هم حملة العرش والأقرب إلى الله- لهم بالمغفرة والوقاية من السيئات في الدنيا، وفي الآية ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غَافِر : 8- 9] إعادة النداء وتدرج في الدعاء لهم بالوقاية

[1] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير[ج24/ 261,259]،[ج25/333,331,312]

من العذاب وصولا إلى طلب إدخالهم نعيم الجنة ،وهو دعاء ينال به المؤمنون أعلى درجات الرضى[1]، وفي سورة فصلت يبشر الله المؤمنين بحصول الثواب الذي طلبه لهم الملائكة الأشراف في غافر، وهو الفوز بالجنة التي يجدون فيها ما يطلبون، وأن الملائكة أولياؤهم في الدنيا والآخرة، وفي الشورى بدأ تفصيل النعيم فهم يجدون في الجنة كل ما تشتهيه الأنفس وتلذّه الأعين، ولتكتمل فرحتهم به سيجمعهم بآبائهم وأزواجهم وأبنائهم فمن تمام نعمه التمتع بالخلة، ولهم فيها فاكهة كثيرة، وأن حظوا به نتيجه أعمالهم الصالحة.

وتأتي الزخرف لتزيد في تفصيل هذا النعيم فهم آمنين مطمئنين مع أزواجهم ،وفي سورة الدخان زيادة في وصفه، حيث ذكر نعيم أجسادهم بلبسها لباس الترف، كما وصف نعيم نفوسهم بجلوسهم مع بعضهم البعض(متقابلين)، وأنهم يشعرون بالأمن والأمان حتى يتم الاستمتاع ،أما امنين الثانية فهي أمن من الآلام التي قد تنتج من الإكثار من تناول الفواكه، على عكس فاكهة الدنيا لأن الإكثار منها يسبب الآلام، وقوله: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ ،بشارة بعدم انقطاع النعمة لأن الموت يقطع ما كان في الحياة من نعيم، وفي الجاثية يبين تعالى أن المؤمنين في ضيافة واسع المغفرة عظيم الرحمة، وذلك هو الفوز المبين، وآخر سورة من الحواميم تبين أن الله صدق وعده للمؤمنين ووجدوا ما وعدهم به حاضرا في الجنة[2].

فالملاحظ من خلال ما سبق أن الحواميم جاء فيها عرض مفصل لمصير المؤمنين سواء في الدنيا أو في الآخرة ، فكانت هذه الآيات حجج تدرجت في تصوير نعيمهم في الجنة ،والنتيجة الحجاجية لهذه الحجج هي بيان جزاء وثواب التصديق بالله وبالرسل ،أما التوجيه الحجاجي لها هو حث النفوس على التوبة وطاعة الله و دعوتها إلى الإيمان.

6- بيان سنة الله في نصرة الرسل:

من مقاصد الحواميم بيان سنة الله في نصرة رسله وذلك من خلال دعوتهم إلى الصبر على تكذيب أقوامهم وإيذائهم لهم، وأن يستعينوا بالله في تبليغ رسالاتهم ولو تتبعنا سور الحواميم وجدنا الآيات المبينة لهذا المصير، والتي هي تسلية للنبي ﷺ ودعوته إلى الثبات على الشريعة، وهي كالتالي:

---

[1] ينظر:بن عا شور، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير [ج24/ 92،-94]

[2] ، ينظر: نفسه [مج24/287,286,92,89]و[مج25/319-317,257-254]

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ [غَافِر : 55- 58] وقوله : ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ٤٣﴾ [فُصِّلَت : 43]، وفي قوله تعالى : ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الشُّورَى : 15]. قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٣﴾ [الزُّخۡرُف : 43] ، وفي قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾ [الجَاثِيَة : 18- 19] ،قال تعالى : ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأَحۡقَاف : 35]

في هذه الآيات يوصي الله نبيه محمد ﷺ أن يصبر على أذى قومه كما صبر الرسل من قبله ،لأن جدالهم له باطل لا حجة له، وهو نتيجة لغرورهم وتكبرهم عن أن يكونوا تبعا للرسولﷺ، و تتضمن وعْدَ الله بتعذيبهمو تولي أمرهم، كما شبههم بالأعمى ،وفي فصلت يزيد الله من تسلية نبيه فبين له أن ما يلقاه من عناد وأذى هو سنة الرسل مع أممهم، وأن ما قيل له قد قيل للرسل من قبله، ويطلب منه تفويض أمره له فإنه ينتقم منهم، كما يعده بأن يغفر له شعوره بالحزن بسبب إيذائهم له وكله تسلية له، والشورى فيها دعوة لمحمد ﷺ بأن يلزم النهج القويم ويدعو الناس إلى دين الحنيفية السمحة الذي أوصى به الله جميع المرسلين، وأن لا يتبع أهواء المشركين في دعوتهم له بترك دعوة التوحيد، ولما هون عليه ما يلاقيه فرع على ذلك وأمره في الزخرف بالتمسك بالقرآن الذي هو هدى للناس ورحمة، والثبات على الدين وعدم اليأس من تصلبهم وعنادهم، فهو على الحق، و تضمنت الجاثية إشارة من الله بأنك يا محمد ﷺ ما أوتيت من نبوءة وكتاب وحكم أفضل مما أوتيه بنو إسرائيل

من ذلك ،فشريعة الإسلام عظيمة فدم على اتباعها ولا تتبع ضلالاتهم لأنهم لن يدفعوا عنه العذاب إذا ما اتبعتهم ، ويصبر كما صبر أولو العزم، لأنه على الحق والطريق المستقيم الموصل إلى جنات النعيم[1].

كما ذكره بما حل بالأمم السابقة من عذاب نتيجة تكذيبهم رسلهم، وهذا دليل على نصرة الله لرسله، وهذه كلها حجج نتيجتها واحدة وهي بيان نصرة الله لرسله والتوجيه الحجاجي دعوة النبي ﷺإلى الصبر والتمسك بالرسالة التي بعث بها.

و مما سبق يظهر جليا الترابط و الالتحام في الموضوعات و المقاصد في هذه السور ، فلا تخلو سورة من الحديث عن المقاصد المشتركة بينها– و إن كان هناك تفاوت– و التي تخدم المحور أو الهدف العام لها ،فهذه الآيات وظفت ترغيبا أو ترهيبا فكانت عبارة عن سلم حجاجي تتدرج فيه الحجج لتجعل متلقي الخطاب يقتنع بما يعرض عليه من أمور عقائدية و يسلم بها .

[1] الصابوني ينظر محمد علي الصابوني[مج3/202,185,158,136,125,111] ،و محمد الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير [ج24/167-311,171]،[ج25/348,347,219]

الفصل الثاني: عاملية النفي في سور الحواميم

1-النفي لغة واصطلاحا

2- أنواع النفي

3- أدوات النفي

4- الفروق الوظيفية بين أدوات النفي

5- دلالات النفي

6- حجاجية عاملية النفي في السور الحواميم

يعتبر النفي أسلوبا لغويا له دلالته الخاصة، وحضوره القوي في اللغة العربية، حيث يستعمل في التواصل اللغوي، و قد حظي باهتمام العلماء نحويين كانوا أم بلاغيين، غير أن النحويين اهتموا بما يتركه من علامة إعرابية، بينما البلاغيون اهتموا بما يحدثه من معنى في الجملة.

1- مفهوم النفي لغة واصطلاحا:

ورد للنفي في المعاجم العربية الكثير من التعاريف ، فقد جاء في القاموس المحيط: «نفي: نفاه ينفيه وينفوه عن أبي حيان: نحاه، فنفا هو وانتفى: تنحى...وابن نفيٌّ كغنيٌّ: نفاه أبوه، ونفت الريح التراب نفيا أطارته،....ونفاية الشيء: رديُّه وبقيّتُه»[1]

و جاء في مقاييس اللغة:« نفي يدل على تعرية شيء من شيء وإبعاده عنه، والنفاية الرديء يُنفى، نفِيُّ الريح ما تنفيه من التراب، ونفِيُّ الماء ما تطاير من الرشّاء »[2] .

و ورد في الصحاح للجوهري: « نفي: نفاه: طرده، نفيته فأصبح منفيا، والنُّفاية : ما تنفيه من الشيء لرداءته، ونفيُ المطر: ما تنفيه وترشه، ونفيُ الريح: ما تنفي في أصول الشجر من التراب ونحوه »[3].

من خلال هذه التعريفات نلاحظ أن المعنى اللغوي للنفي يدل على التنحية والإبعاد.

أما اصطلاحا فقد عرفه الزركشي بقوله:« هو شطر الكلام كله، لأن الكلام إما إثبات أو نفي...الفرق بينه وبين الجحد ،قال ابن الشجري: إن كان النافي صادقا فيما قاله، سُمي كلامه نفيا، وإن كان يعلم كَذِب ما نفاه كان جحدا، فالنّفي أعم لأن كل جحد نفي من غير عكس»[4].

أما التهانوي فيقول:« النفي بالفتح وسكون الفاء عند أهل العربية من أقسام الخبر مقابل الإثبات والإيجاب، قيل بل هو شطر الكلام كلّه. والفرق بينه وبين الجحد أنّ النافي إن كان

---

(1) الفيروز أبادي :مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، تح: التراث في مؤسسة الرسالة ،مؤسسة الرسالة ،لبنان،ط8-2005، ص 1340

(2) ابن فارس :أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام بن هارون، دار الفكر للطباعة و النشر، ط(د.ت)،[ج5/456]

(3) الفارابي :أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ،تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ،بيروت،لبنان،ط4-1987، ص514,513(فصل النون)

(4) الزركشي :بدر الدين بن عبد الله الزركشي ،البرهان في علوم القران ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث،القاهرة،ط3-1984 [ج376,375/2]

صادقا سمّي كلامه نفيا ومنفيا أيضا ولا يسمّى جحدا، وإن كان كاذبا سمّي جحدا ونفيا أيضا، فكلّ جحد نفي وليس كلّ نفي جحدا»[1]، وابن يعيش يعرفه على أنه إكذاب « اعلم أن النفي إنما يكون على حسب الإيجاب، لأنه إكذاب له، فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما، إلا أن أحدهما نفي والآخر إيجاب ...»[2]

أما من المحدثين، فقد عرفه المخزومي« النفي أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار، يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب، فينبغي إرسال النفي مطابقا لما يلاحظه المتكلم من أحاسيس ساورت ذهن المخاطب خطأ مما اقتضاه أن يسعى لإزالة ذلك بأسلوب نفي بإحدى طرائقه المتنوعة الاستعمال»[3]

ومن خلال المعاني الاصطلاحية للنفي نستنتج أنه يمثل أحد شطري الكلام، وهو مقابل الإثبات فلا نفي دون إثبات ،و يستخدم لإزالة الشك الذي يتردد في ذهن المخاطب .

ويستعمل النفي في العربية بطريقتين، إما صريحا باستخدام أدوات النفي «وهو نفي بأدوات معروفة ، يؤدي كل منها معنى ما في المبنى الذي يتشكل بها»[4]، أو ضمنيا يُفهم ويستشعر من السياق من خلال استخدام أساليب الاستفهام والتعجب...أو من خلال استخدام مفردات خاصة يتضمن معناها المعجمي النفي.

2. أنواع النفي:

نقل عن ديكرو تصنيف النفي إلى ثلاثة أصناف، هي:

1.2-النفي الوصفي:

وهو النفي الذي يكون تمثيلا لحالة الأشياء في الكون دون أن يقدمه قائله على أنه يعارض خطابا اخر، فهو يمثل إثباتا لمحتوى سالب دون إحالة على إثبات مناقض له[5]، وظيفته إثبات محتوى منفي، ولا يراد به معارضة وجهة نظر ثانوية في الملفوظ، فمثلا قولنا:

---

(1) التهانوي محمد بن علي التهانوي ،كشاف اصطلاحات الفنون، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ،بيرووت،ط1-1996[ج722/2]

(2) موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، صححه و علق عليه جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، مصر،(د.ط)،(د.ت)،مج4 ،107/8

(3) مهدي المخزومي ،في النحو العربي نقد و توجيه، دار الرائد العربي ،بيروت لبنان ،ط2-1986،ص 246

(4) فارس محمد عيسى، في النحو العربي أسلوب في التعليم الذاتي ،دار البشير للنشر و التوزيع ،عمان،ط-1994،ص229

(5) شكري المبخوت ،إنشاء النفي و شروطه النحوية الدلالية، مركز النشر الجامعي ،تونس ط-2006،ص2244

لا توجد غيمة في السماء فهذا القول لا ينطوي على أي جدل، ولا يدحض أي رأي، بل هو يصف حالة شيء[1]، فهذا النوع من النفي يحمل معنى الإخبار، أي أنه نفي إخباري.

2.2-النفي الميتا لغوي:

وهو نفي يناقض اللفظ نفسه الذي أخرج به كلام فعلي قد قيل، فهو قول منفي يهاجم متكلما قال المقابل الموجب، ولهذا النفي خاصيتان :

أنه نفي يبطل المقتضيات ويلغيها، كقول القائل ردا على من قال: كفّ زيد عن التدخين ،بقوله: لم يكفّ زيد عن التدخين فهو في الواقع لم يدخن البتة طيلة حياته.

بأن له قيمة إعلاء الصفة ،في مثل قولك ،ليس زيد ذكيّ، إنه عبقريّ[2].

3.2- النفي الجدلي:

وهو النفي الذي يعارض به المتكلم رأيا معاكسا لرأيه صاغه المخاطب صياغة إثباتية ، فهو يحمل وجهتي نظر متضادتين، إحداهما صريحة والثانية مضمرة نصل إليها بإعمال قانون الافتراض المسبق[3]، وهو النفي الحجاجي الذي نعته ابن يعيش بالإكذاب الذي فيه توجيه للملفوظ والمتلقي نحو النتيجة التي يريد المتكلم من متلقيه التصديق بها[4].

3. أدوات النفي:

يتم النفي في العربية كغيره من الأساليب بمجموعة من الأدوات، وهذه الأدوات تصنف من حيث تركيبها إلى صنفين :

أ- **أدوات مفردة وهي:** (لا)،(ما)،(إن)و(هل).

ب- **أدوات مركبة:** لقد نحتت العربية أدوات نفي مركبة من (لا) الأداة الأصلية في النفي، وهذه الأدوات هي (لم)، (لن)،(لما)،(ليس) و (لات) ، يقول برجستراسر: «إن أصل النفي في العربية أن يكون بلا وما، وأنّ العربية قد اشتقت من (لا) أدوات منها ليس، ولن ، ولم...ولن مركبة من لا وأن ، ولم ربما ركبت من لا وما الزائدة»[5].

---

(1) دردار بشير، واسمات التعدد الصوتي اللسانية و دورها الحجاجي النفي أنموذجا، مقال عن جامعة تيسمسيلت ،الجزائر ،(د.ت)،ص 5,4

(2) شكري المبخوت، ص 244

(3)شكري المبخوت، ص 244 و دردار بشير ،واسمات التعدد الصوتي اللسانية و دورها الحجاجي ، ص5

(4) لزهر كرشو ، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب ،ص77,76

(5) مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه،ص249,248

4- الفروق الوظيفية بين أدوات النفي:

حدد بعض العلماء فروق بين أدوات النفي ،و قد أرجعوا ذلك إلى أنه لكل منها معنى تنفرد به عن غيرها وإن اشتركت إحداها مع أخرى في وجه من الوجوه و خالفتها في المعنى أو الاستعمال، مما يجعل المتكلم يختار منها الأنسب للمقام عند الاستعمال ، وهي كالتالي:

1.4- الفرق بين (ما) و (ليس)[1]: يرى السامرائي أنهما ليستا متماثلتين، بل بينهما أوجه تشابه كونهما تستعملان لنفي الحال عن الإطلاق، وأوجه اختلاف كون (ليس) فعل و(ما) حرف، وأن هذه الأخيرة أقوى في النفي من (ليس) ، لأن منفيها غالبا يقترن بـ(من) المؤكدة التي تفيد التوكيد والاستغراق، وهي أكثر استعمالا في القرآن الكريم.

2.4- الفرق بين لم و ما: يقول الزركشي: «إن النفي بما كقولك (ما قام زيد) معناه أن وقت الإخبار هذا الوقت ،و هو إلى الآن ما فعل، فيكون النفي في الماضي، وإن النفي بلم كقولك :(لم يقم) تجعل المخبر نفسه بالعرض متكلما في الأزمنة الماضية، ولأنه يقول في كل زمان من تلك الأزمنة: أنا أخبرك بأنه لم يقم »[2]

3.4-الفرق بين لم و لمّا: من الفروق بين هاتين الأداتين نذكر ما يأتي[3]:

- إن المنفي بـ(لم) قد يكون منقطعا وقد يكون مستمرا، بينما منفي (لما) مستمر النفي إلى وقت التكلم ،فقولنا لما يحضر زيد نعني أنه لم يحضر إلى الآن، وإذا قلنا لم يحضر زيد يحتمل أنه لم يحضر إلى الآن، ومحتمل أنه لم يحضر في وقت من أوقات الماضي ثم حضر.

- منفي(لما)لا يكون إلا قريبا من الحال، ولا يشترط ذلك في منفي (لم).

- منفي لما فيه معنى التوقع أما منفي(لم)لا، فقولنا لما يحضر زيد، معناه أنه لم يحضر لكن حضوره متوقع، و قولنا: (لم يحضر زيد) ليس فيه معنى التوقع، هذا بالنسبة للمستقبل، أما بالنسبة للماضي فهما متماثلتان في نفي المتوقع وغيره.

---

(1) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه،ص230-233
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن[ج378/2]
(3) فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو[ج4/9-12]

– أن (لم) يدخلها الشرط ولا يدخل (لما)، فنقول إن لم تدرس ترسب ، ولا نقول إن لما تدرس ترسب.

4.4– الفرق بين (لا) و(ليس)[1]:

تشتركان في دخولهما على الجملة الاسمية والفعلية، و ينفيان الجملة مطلقا، وتختلفان في:

– (ليس) تنفي مضمون الجملة في الحال على الغالب، وقد تنفيه في الاستقبال، أما (لا) فتنفي مضمون الجملة في الاستقبال.

– عمل (لا) قليل مقارنة بعمل (ليس)، وهو يختلف بحسب نوعها (نافية للجنس أو الوحدة)

– النفي يؤكد بتكرار (لا) ولا يؤكد بتكرار (ليس).

5.4– الفرق بين (لن) و(لا)[2]:

تشتركان في نفي مضمون الكلام في المستقبل، و تختلفان في:

– (لن) تختص بالجملة الفعلية وخصوصا المضارع، أما (لا) فتختص بالفعلية والاسمية.

– وظيفة (لن) هي النفي فقط، بينما (لا) لها وظائف متعددة.

– (لن) أبلغ في نفي المستقبل من (لا).

6.4– الفرق بين لات و ليس[3]:

– لا تدخل (لات) إلا على الجملة الاسمية، بينما (ليس) تدخل على الجملة الاسمية والفعلية وإن كان على الأخيرة قيلا، (لات)تدل على نفي الحال، وليس قد تنفي في الماضي والمستقبل، منفي (لات) قد يتحقق و قد لا يتحقق، وليس ذلك في (ليس)

---

(1) ينظر: توفيق جمعات ،النفي في النحو العربي منحى وظيفي تعليمي القرآن الكريم عينة، رسالة ماجستير ،إشراف مشري بن خليفة ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة، (س.ج2006/2005)، ص 67,66

(2) ينظر :نفسه ص68

(3) ينظر: نفسه ،ص70,69

7.4- الفرق بين (لا)و (ما)[1]:

- (لا)أكثر نفيا من (ما)، لأنها تنفي ما بعدها أحيانا نفيا شاملا مستغرقا، كنفيها الجنس مثل: لا رجل في الدار، ولأنها تخرج من النفي إلى النهي، مثل: لا تضرب زيدا، ولأنها تستعمل مفردة وتستعمل مركبة في (لم)، (لمّا) ،(لن) و(ليس) و(لات)، ولم ترد (ما) مركبة.

- (ما) تدل على النفي في الماضي مع الفعل الماضي، وتدل مع المضارع عل نفي الحال عند غياب أي قرينة دالة على نفي غير الحال، أما (لا) فتدل مع المضارع على الاستقبال، وقلما تدل على الماضي.

- (ما) تدخل على المعرفة و النكرة، أما (لا) فلا تدخل على النكرة إلا نادرا.

ليس لـ(لا) حق الصدارة مثل (ما)، فقد تأتي مثلا بين الجار والمجرور كقولنا: الأحمق يغضب من لا شيء.

- كثيرا ما تزاد الباء في خبر (ما)، ونادرا ما تزاد في خبر (لا) .

وقد ربط النحاة اختلاف دلالة أدوات النفي باختلاف الدلالة الزمنية لها، « حروف ترتبط بحيز زماني هو زمان التكلم (ما/لا)، وإما ما قبله (لم/لمّا)، وإما ما بعده (لا/لن)»[2] فمن خلال هذا القول نفهم أن (ما) لنفي الحال، و(لم) وأختها (لمّا) لنفي الماضي، بينما(لا) وأختها (لن) لنفي الاستقبال.

5- دلالات النفي:

للنفي في العربية دلالات مختلفة ، نذكر منها ما يأتي:

[1] ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه ،ص248
[2] شكري مبخوت، إنشاء النفي،ص120,119

1.5. نفي العمدة:

أي نفي المسند أو المسند إليه، فمن نفي المسند، قولك (ما حضر خالد بل سافر) فقد نفيت الحضور، وقد ينفى المسند إليه نحو قوله تعالى:﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ فنفى الخوف. [1].

2.5. نفي القيد:

القيد هو المتعلق أو المفعول أو الصفة أو الحال، وغيره، ونفيه له دلالات متعددة منها:

– الدلالة على نفي القيد وحده مع القطع بحدوث الأصل: كقوله تعالى:﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾، فهذا فيه إثبات خلق السماء والأرض ونفي اللعب، وقد يذكر القيد والمقصود منه النفي مطلقا: كقوله تعالى:﴿لا يسألون الناس إلحافا﴾ فهنا المقصود نفي السؤال أصلا[2].

3.5. التنصيص على نفي القيد دون غيره: إذا أردت التنصيص عن نفي شيء وإثبات ما عداه نصا جئت بـ(غير) أو (لا).

4.5. نفي الشيء والمراد عدم كماله: قد ينفى الشيء أصلا والمقصود منه انتفاء كماله أو عدم استحقاقه أن يوصف بهذا الوصف، كقولك: إن فلان ليس بحي، فالمقصود أن حياته التي هو فيها لا ينبغي أن تسمى حياة[3].

5.5. التقديم والتأخير:

المقدم بعد أداة النفي هو الذي يتسلط عليه معنى النفي ،فيتم تسليط النفي على متعلقات الفعل بتقديمها عليه قصد توجيه النفي إليها، كتقديم المسند إليه عن الفعل أو نحو تقديم المفعول به أو الجار والمجرور... وهو يفيد ما أفاده الأول في الإثبات والنفي، ومنه أيضا وقوع الفعل في حيز النفي وعدمه، فإذا وقع الفعل في حيز النفي تسلط عليه،

---

(1) ينظر:السمراائي فاضل صالح السامرائي، معاني النحو العربي[216/4]
(2)ينظر: انفسه ،ص219,218
(3) نفسه [223/4]

وإن لم يقع في حيزه كان مثبتا ولم يسلط عليه، نحو قولك (عرفت أنه ليس مسافرا) وقولك (ما عرفت أنه مسافر)، فالأولى إثبات للمعرفة والثانية نفي لها[1].

6.5. **تكرير الفعل في النفي:** كقولك(ما مررت بخالد وعمرو) و(ما مررت بخالد وما مررت بعمرو)، فإذا كان المرور مرورين فنفيته يكون بتكرير العامل، (العبارة الأولى)، أما إذا كان المرور واحدا فلا يتكرر العامل، جاء في الكليات لأبي بقاء الرندي« إذا دخل حرف النفي عن مثل (رأيت زيدا وعمرو) فإذا كانت الرؤية واحدة، تقول(ما رأيت زيدا وعمرو) وإن كنت قد مررت بكل منهما على حدة قلت(ما مررت بزيد وما مررت بعمرو)»[2].

فمن خلال ما سبق نستخلص أن للنفي دلالات متعددة ، وتعددها راجع إلى تركيب الجملة المتضمنة للنفي.

إن عوامل النفي عوامل حجاجية يصدق عليها قول ديكرو أنها مورفيمات توجه القول والمتلقي في آن واحد، فيحقق بها المتكلم إذعان المتلقي وتسليمه بتوجيهه بالملفوظ إلى النتيجة، وقد اعتبر ديكرو– في نظرية السلالم الحجاجية– النفي من أدق العوامل في تحديد منزلة الملفوظ من السلم الحجاجي، وكان في حديثه عن النفي يطرح السؤال: لماذا قال المتكلم ما قال؟ وذلك ليحدد للملفوظ درجته الحقيقية في السلم الحجاجي، فتتحدد النتيجة التي يريد المتكلم توجيه المتلقي إليها، كما أضاف ديكرو قيمة إضافية للنفي، وهي أنه ضروري لوصف البنية الدلالية العميقة للملفوظ الذي يبدو غير منفي ولذلك بمجرد إدراج عامل النفي تتحد النتيجة (ن) فلا يجد المتلقي كدّ ذهني في فهم المقصود وإدراكه[3].

فقيمة النفي الحجاجية تتجلى في مدى إسهامها في توجيه السامع إلى دلالات و نتيجة مخصوصة.

6- حجاجية النفي في سور الحواميم:

بعد تقصي مواضع عامليات النفي و الشرط و القصر في سور الحواميم توصلنا إلى النتائج الموضحة في الجدول التالي:

---

(1) السامرائي :فاضل صالح السامرائي، معاني النحو العربي ، ص 223

(2)،نفسه ص228

(3) ينظر : عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة،ص47-51

العاملية	عددها	نسبتها
النفي	103	٪38,72
الشرط	83	٪31,20
القصر	80	٪30,07

ومن خلال الجدول يتبين لنا أن عاملية النفي كانت الأكثر حضورا مقارنة بالعوامل الأخرى، حيث وظفت مئة وثلاثة(103) مرة، وقد مثل هذا العدد نسبة38.72%من نسبة العوامل الحجاجية الواردة فيها، وهذا يعود إلى أن النفي يخدم الهدف العام لهذه السور التي تمحور خطابها حول الجدل والاحتجاج على أسس الدين، من عقيدة التوحيد والنبوة والكتاب والوحي والمعاد، ومحاولة الإقناع بها بشتى الطرق والأساليب، وهو ما استدعى استعماله بكثرة باعتبار أن الوظيفة الأساسية له –حسب ما يرى شكري المبخوت– هي التشكيك الذي يفضي إلى التكذيب ، زد على ذلك أن النفي هو نقض وإنكار يستخدم لإزالة ما يتردد في ذهن المخاطب من أفكار ومعتقدات، وتقرير أخرى محلها، وهو ما تصبو إليه آيات هذه السور التي تضمنت نفي قدرة معبوداتهم على أي من مظاهر الربوبية فهي لا تخلق ولا تملك شيئا، ولا تضر ولا تنفع ولا تنصر، وهي دلائل عجز وافتقار يجعلها لا تستحق الألوهية، وفي نفس الوقت هي حجج إثبات استحقاق الله الألوهية وحدها ونفي معتقداتهم الفاسدة.

أما أساليب النفي في سور الحواميم فقد وردت في عدة مواضع، تنوعت معانيها ودلالاتها من آية إلى أخرى، وذلك لاختلاف الأدوات النافية المستعملة من جهة، واختلاف سياقات استعمالها من جهة أخرى، وبعد تقصي مواضع عاملية النفي توصلنا إلى النتائج الموضحة في الجدول التالي،الذي يوضح عدد تكرار عامليات النفي ونسبتها المئوية في سور الحواميم:

الأداة / السورة	لا	ما	لم	ليس	إن	هل	لن	مجموع العامليات	نسبتها في السورة
غافر	11	8	2	2	0	1	0	24	%23,30
فصلت	11	5	0	0	0	0	0	16	%15,68
الشورى	8	10	1	1	0	0	0	20	%19,60
الزخرف	8	3	0	0	0	0	1	12	%11,76
الدخان	1	4	0	0	0	0	0	5	%04,90
الجاثية	8	3	1	0	0	0	1	13	%12,40
الأحقاف	8	3	1	0	1	0	0	13	%12,40
المجموع	55	36	5	3	1	1	2	103	
النسبة	%53.39	%34.96	%4.85	%2.91	%0.97	%0.97	%1.94		

من خلال النتائج يظهر لنا أن السورة الأكثر توظيفا للنفي هي سورة غافر حيث وردت فيها أربع وعشرون(24) عاملية نفي وهو ما يمثل نسبة 23,30% من عاملية النفي، وهذا طبيعي كون محورها العام هو المجادلة و الصراع بين الكفر والإيمان، فهي تفند حجج الذين كفروا وجحدوا آيات الله فتنفي شكوكهم ومعتقداتهم الزائفة لتثبت بدلها مبادئ العقيدة التي كذبوها وأنكروها، بينما السورة الأقل توظيفا هي الدخان حيث كان عدد العامليات خمسة(5) وهو ما يمثل نسبة 4,90%، وربما يرجع ذلك إلى أن هذه السورة فيها إيذان بالعذاب بعد مجادلة قوية و إيراد الحجج والبراهين لكن دون جدوى، فهم أصروا على كفرهم وجحودهم واستكبروا عن آيات الله فاستحقوا ذلك العذاب.

وفيما يلي سنطبق على هذه العاملية ونحاول أن نكشف عن حجاجيتها في (آل حم) حسب الأداة، ثم نورد نماذج تطبيقية مختارة لكل عاملية، وكان معيار اختيارنا لهذه النماذج

وفق معيار كثرة توظيفها، أو ندرة توظيفها، وخدمتها للهدف العام للسور، أو خروج توجيه العاملية عن التوجيه العام للسور، وقد اقتصرنا على العوامل التي وجدناها فيها:

1.6- عاملية النفي بـ(لا):

تعد (لا) الأصل في النفي في العربية، تنفي الفعل والاسم، وفي نفيها معنى الشمول فهي تنفي نفيا عاما مستغرقا في الفعل والاسم، وهي تعمل(ليس) فتنفي الجنس[1] .

وهذا الجدول يبين توزيع هذه العاملية في سور الحواميم:

السور	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف
تكرار العاملية	11	11	8	8	1	8	8
النسبة	%20	%20	%14,54	%14,54	%1,81	% 14,54	%14,54

وبعد تتبع مواضع توظيف الأداة (لا) في الحواميم، وجدنا أنها وظفت خمسا وخمسين (55) مرة مثلت نسبة 53,92%من نسبة عاملية النفي في السور، أي أكثر من النصف، وقد لا حظنا تفاوتا في توظيف هذه الأداة بين السور كما هو موضح في الجدول، فقد كان أكثر توظيفا لها في غافر وفصلت حيث كان عددها أحد عشرة مرة(11) مرة، بنسبة 20% من عاملية النفي، وسبب ذلك كونها الأصل في النفي في العربية، ولأنها آكد من (ما)، فالله سبحانه وتعالى خاطبهم باللغة التي يستعملونها حتى لا تكون لهم الحجة، كما أن موضوع سورة غافر الأساس المجادلة، مجادلة الكفار بالباطل، ومجادلة المؤمنين بالحق، فهي تمثل معركة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وكثر فيها الطعن والنزال مما استدعى توظيف الأداة الأكثر قوة في النفي من أجل الإقناع، وكذلك فصلت التي تضمنت تفصيل لما جاء في غافر من أدلة فأورد فيها الله تعالى الحجج الواضحة الدالة على صدق القرآن وصدق محمدﷺ، وقدم البراهين على وجوده و وحدانيته لينفي بها الإلهية عن معبوداتهم، وهو ما

[1] ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه،ص248

استدعى توظيف هذه الأداة، وكانت الدخان الأقل توظيفا لهذه الأداة، مرة واحدة مثلت نسبة 1,81% من عاملية النفي، فهذا راجع إلى أن المقصود العام لها هو الإنذار بالهلكة والعذاب المقيم، وكأنها إيذان بالنهاية، لمن لم يتب ويرجع إلى غافر الذنب وقابل التوب .

والملفت للنظر دخول حرف الجر (من) التي تفيد الاستغراق، وكذلك توظيف النكرة في حيز النفي مما يزيده تأكيدا، ويجعله أعم، وهو ما اقتضاه المقام، فهذه السور تخاطب أهل مكة أشد الناس جحودا وإنكارا وكفرا وإعراضا عن القرآن.

أما التوجيه الحجاجي لهذه العاملية فقد غلب عليه الطابع الدعوي الذي يهدف إلى الإيمان بالله وتوحيده وتأمل دلائل قدرته وآيات القرآن.

نماذج تطبيقية:

وسنعرض فيما يلي بعض النماذج مع بيان النتيجة والتوجيه الحجاجي للقول المنفي بـ(لا):

قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾ [غَافِر : 17]، أي لا يظلم أحد شيئا، لا بنقص ثواب ولا بزيادة عقاب، وحسابه سريع فيحاسب الخلائق جميعا في وقت واحد [1].

ورد عامل النفي (لا) النافية للجنس في هذه الآية مقترنا كذلك بنكرة، مما أفاد عموم النفي، أي نفي أي نوع من أنواع الظلم، كما زاد في الطاقة الحجاجية للملفوظ مما جعل القول المنفي يتجه إلى نتيجة واحدة هي إثبات استحقاق كل واحد ما يناله من عقاب أو ثواب، أما التوجيه الحجاجي تأكيد عدل الله في خلقه.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ [غَافِر : 20] ، بعدما نفى الشفاعة على أصنامهم، نفى عنها القضاء بشيء ما بالحق أو بالباطل [2].

---

(1) الصابوني محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ، مج3[95/23]

(2) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير[117/24]

فالنفي الوارد في هذه الآية حجة نتيجتها عجز الأصنام التي يعبدونها وإظهار أنها غير أهل للإلهية واستحقاق الله تعالى لها، أما التوجيه الحجاجي فهو الدعوة إلى عبادة الله وحده.

قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ﴾ [الشُّورَى : 13]، أي لا تتفرقوا في إقامته، بأن ينشط بعضكم لإقامته ويتخاذل البعض، إذ بدون الاتفاق على إقامة الدين يضطرب أمره[1].

فهذا القول المنفي حجة نتيجتها الاختلاف سبب في اضطراب الدين وضياع أمره، أما التوجيه الحجاجي فهو الدعوة إلى التشاور في إقامة الدين والتحذير من الفرقة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الدُّخَان : 41]،أي لا يغني أحد من الموالي كائنا من كان عن أحد من مواليه كائنا من كان أي إغناء، وعطف (لا هم ينصرون) على (لا يغني مولى عن مولى شيء) زيادة في نفي عدم الإغناء، وبني فعل ينصرون إلى المجهول ليعم نفي كل ناصر[2].

والقول المنفي في هذه الآية حجة نتيجتها لا نصرة للكافرين عند وقوعهم في العذاب، أما التوجيه الحجاجي هو تيئيس الكافرين من الخروج العذاب المقيم.

2.6- عاملية النفي بـ(ما):

تعد(ما) من الحروف الأصلية في النفي، تنفي الاسم والفعل، و يرى النحاة أنها لا تعمل لأنها غير مخصوصة، ولا يعمل من الحروف إلا المختص كحروف الجزم، لكنها عملت عمل ليس مع الجملة الاسمية[3]

وهي تنفي الحال إذا نفت الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع، أما إذا دخلت على الماضي، فإنه يبقى على معناه من المضي[4].

---

(1) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير و التنوير [54/25]

(2) نفسه، ص 312

(3) مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه،ص249,248

(4) محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة ،ط-2003،ص285

وردت هذه العاملية في سور الحواميم ست وثلاثين (36) مرة، بنسبة34,28% من العوامل الحجاجية، وهي الثانية بعد (لا) ، ويرجع توظيفها بهذه النسبة إلى أنها هي الأخرى الأصل في النفي، زيادة إلى أن من أسلوب القرآن استعمال النفي بـ(ما) للجمل التي تحتاج إلى زيادة التوكيد، وهوما يناسب الهدف العام لسور الحواميم المتمثل في ترسيخ العقيدة وتأكيدالإلهية لله و وحدانيته وتقرير الوحي في مقابل نفي شبه المشركين ودحض ضلالتهم .

وقد وزعت هذه العاملية بين السور بصورة متباينة، وهو ما يوضحه الجدول التالي:

السور	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف
تكرار العاملية	8	5	10	3	4	3	3
النسبة	%22,22	%13,88	%27,77	%8,33	%11,11	%8,33	%8,33

فالملاحظ أن أكثر توظيف لها كان في سورة الشورى عشر (10) مرات، بنسبة 27,77%من عاملية النفي، وهذا يخدم المحور العام الذ ي تدور حوله السورة وهو تقرير الوحي والرسالة، وإثبات أن مصدرهما هو الله رب العالمين، وهذا يحتاج إلى زيادة في التوكيد مما استدعى توظيف (ما) ولأن السياق يستدعي ذلك لأن كفار مكة اتهموا محمد بالسحر، وافتروا على القرآن الكريم فجيء بـ(ما) لنفي افتراءاتهم .

وأقل توظيف لها كان في الزخرف والجاثية والأحقاف، حيث وظفت ثلاث (3) مرات بنسبة 8,33% من النسبة الكلية للنفي، ولعل هذا راجع إلى أن سورة الزخرف محورها العام الإشارة إلى أن متاع الدنيا يناله الأخيار والأشرار، وهو زائل، بينما متاع الآخرة دائم وباق لا يناله إلا المتقون، والجاثية قامت على نقض الشرك الذي عليه الذين كفروا ونقض حججهم لرد النبوة، وآيات نقض الشرك قامت على إثارة ما لا شك فيه فهو لا يحتاج إلى نفي وإثبات لأنهم يعلموه لكنهم يطمسونه، والأحقاف تعرض أباطيلهم في إنكار النبوة، فالمقام لا تستدعي استعمال النفي.

أما التوجيه الحجاجي لهذه العاملية فقد كان أغلبه تأكيديا تقريريا وهو ما يتناسب مع الغرض العام للحواميم التي من بين أهدافها تأكيد وحدانية الله وتقرير النبوة والوحي .

نماذج تطبيقية:

وهذه نماذج تطبيقية لهذه العاملية مع بيان النتيجة والتوجيه الحجاجي لكل قول منفي بها:

قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾ [غَافِر : 18] ، أي ليس للظالمين من صديق ينفعهم ولا شفيع يشفع لهم لينقذهم من شدة العذاب، وأتبع شفيع بوصف يطاع هو من إيراد نفي الصفة اللازمة للموصوف، والمقصود نفي الموصوف بضرب من الكناية التلميحية، وهو نفي الشفاعة عن أصنامهم، والتعريف في الظالمين للاستغراق ليعم كل ظالم أي مشرك فيشمل الظالمين المنذرين[1].

ففي هذه الآية جاء النفي بما مع دخول حرف الجر وورود المنفي نكرة، زيادة على أن نفي الموصوف دليل على نفي الصفة، فكيف تأتي الشفاعة ولا شفيع لهم، فليس المقصود هنا نفي الشفيع بقيد الشفاعة بل نفيه مطلقا، وهذا ما زاد النفي قوة وطاقة حجاجية للملفوظ ليتوجه إلى نتيجة هي أنه لا مهرب ولا مفر من هذا العذاب المقيم، والتوجيه الحجاجي هو تيئيس الظالمين من النجاة يوم الحساب والدعوة للاعتبار من مصيرهم.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١﴾ [الشُّورَى : 31]، أي لستم فائتين من عذاب الله ولا هاربين منه، وليس لكم غيره ولي يتولى أموركم ومصالحكم ولا نصير سواه يدفع عنكم عذابه وانتقامه[2].

وجيء بالخبر جملة اسمية للدلالة على ثبات الخبر أي نفي إعجازهم ثابت، فهم في مكنة الخالق، فهذا القول المنفي حجة نتيجتها إثبات وقوع الكافرين في العذاب ومكوثهم فيه، أما التوجيه الحجاجي تأكيد أن لا مفر من العذاب.

---

(1) الصابوني محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسيرمج3]97/23[، و ينظر: محمد الطاهر بن عاشور [116,114/24]

(2) محمد الطاهر بن عاشور [141/24]

الآية 52: أي ما كنت يا محمد تعرف قبل الوحي ما هو القرآن، ولا كنت تعرف شرائع الإيمان ومعالمه على وجه التفصيل[1].

وتكرير (لا) النافية في(ولا الإيمان) تأكيد لنفي درايته إياه، أي ما كنت تدري الكتاب ولا الإيمان للتنصيص على أن المنفي دراية كل واحد منهما.

فهذا القول حجة نتيجتها صدق الرسول ﷺ وأن ما يدعو إليه هو وحي من الله، أما التوجيه الحجاجي فهو تأكيد أن القرآن وحي من الله تعالى إلى رسوله .

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الدُّخَان : 38] ، وذكر اللعب توبيخا للذين كذبوا بالبعث والجزاء، ولاعبين حال من ضمير خلقنا، والنفي متوجه إلى هذا الحال فاقتضى نفي أن يكون شيء من خلق ذلك عبث فمن ذلك حالة إهمال الجزاء. وهو نفي أن يكون خلق المخلوقات لعبا وإثبات أنه للحق[2]

فالقول المنفي هنا حجة نتيجتها اثبات أن خلق الله للمخلوقات للحق وليس عبثا مما يقتضي أن يجازى كل إنسان على فعله، أما التوجيه الحجاجي هو التأكيد على وقوع البعث والجزاء.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾ [الأَحْقَاف : 9]، أي ما كنت أول الرسل، ولا جئت بأمر لم يجئ به أحد من قبلي، فقد أرسل الله قبلي جميع الأنبياء إلى الأمم السابقة، ولا أدري ما يقضي الله عليّ وعليكم فقدره مغيب[3].

ففي هذه الآية تكرر النفي بـ(لا) لتأكيد النفي، فهذا القول المنفي حجة نتيجتها إثبات أن محمد ﷺمثل سابقيه وأنه لا يعلم الغيب، أما التوجيه الحجاجي الدعوة إلى تصديق الرسل.

(1) الصابوني محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسير، ص 141
(2) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير [310/25]
(3) ينظر: الصابوني: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ، مج3[25/ص194]

3.6- عاملية النفي بـ(لم):

(لم)هي لا أبدلت ألفها ميما فصارت (لم)، وهي تنفي الحدث في الماضي، وهي أداة نفي مختصة بالفعل المضارع، ولا تدخل على غيره، و(بيفعل) خاصة، لتدل معه على نفي وقوع الفعل في الماضي[1].

بعد تقصي مواضع توظيف هذه العاملية توصلنا إلى النتائج الموضحة في هذا الجدول:

السور	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف
تكرار العاملية	2	0	1	0	0	1	1
النسبة	%40	%0	%20	%0	%0	%20	%20

فيظهر من خلال الجدول أنها وظفت في هذه السور خمس(5)مرات، بنسبة 4,90%من عاملية النفي، وهي نسبة قليلة مقارنة بما قبلها، ومن الملاحظ وجود تراجع كبير في استعمال عاملية النفي في الحواميم، وربما هذا راجع إلى أنّ دلالتها للنفي في الماضي بينما الحواميم تناقش وتعالج قضايا حاضر ومستقبل لأنها تريد تغيير واقع معاش، فهذه الأداة لا تخدم هذا الغرض كالأدوات الأخرى التي .

وكان أكثر ورود لها في سورة غافر، حيث وظفت مرتين 40% من عاملية النفي، وهي السورة الأكثر توظيفا للنفي كما لاحظنا، لكن موضوعها استدعى استعمال (لا) و(ما) أكثر من (لم) لأنهما أكثر إقناعا وحجة.

وانعدم توظيف هذه العاملية في سورتي الزخرف والدخان لأن هاتين السورتين فيهما وعيد للمشركين وتفصيل لهذا الوعيد وهذا المقام لا يتطلب توظيف النفي بل يتطلب أساليب أخرى.

[1] ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه،ص256,255

نماذج تطبيقية :

وفيما يلي عرض لبعض النماذج لهذه العاملية وبيان النتيجة والتوجيه الحجاجي لها:

قال تعالى: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٥﴾ [غَافِر : 85]، أي حين شاهدوا العذاب لم ينفعهم إيمانهم لأن الله لا يقبل الإيمان عند نزول عذابه، ولما أُريد نفي ثبوت النفع إياهم بعد فوات وقته، اجتلب لذلك نفي فعل الكون الذي خبره ينفعهم[1]

فالقول المنفي في الآية[2] حجة نتيجتها عدم جدوى الندم عند وقوع العذاب، أما التوجيه الحجاجي هو تأكيد خسران الجاحدين لآيات الله.

قال تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢١﴾ [الشُّورَى : 21]، أي هؤلاء الكفار شركاء من الشياطين أو آلهة من الأوثان شرعوا لهم الشرك والعصيان الذي لم يأمر به الله[3]، فهذه الآية تبين مخالفة المشركين للشرائع كلها لتلقيهم دين الإشراك من أئمة الكفر وقادة الضلال[4].

فهذا القول المنفي حجة نتيجتها بيان فظاعة شرك المشركين، أما التوجيه الحجاجي هو تأكيد عدم صلاحية الهتهم لتشريع الدين وعدم استحقاقها الألوهية.

- قال تعالى: ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٨﴾ [الجَاثِيَة : 8]

---

(1) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير[222/24]
(2) الصابوني محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج3[138/25]
(3) نفسه، ص138
(4) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور ، [76/25]

أي يتمادى في كفره وضلاله كأنه لم يسمع آيات القرآن، مستكبرا عن الإيمان بها[1]، فهذا القول حجة نتيجتها بيان إعراض المشركين عن آيات الله، أما التوجيه الحجاجي تأكيد إصرار المشركين على الكفر بآيات القرآن.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٣٣﴾ [الأَحْقَاف : 33]،أي ألم يعلم هؤلاء الكفار المنكرين للبعث أن الله الذي خلق السماوات و الأرض و لم يتعب بخلقهن قادر على البعث[2]، فهذا القول المنفي حجة نتيجتها أن الله قادر على البعث، أما التوجيه الحجاجي تقرير قدرة الله على البعث والدعوة إلى الإيمان به.

4.6- عاملية النفي بـ(ليس):

ليس هي مركبة من لا وأيس يقول الفراء: «أصل ليس لا أيس»، ومن النحاة من اعتبرها فعلا، وحجتهم في ذلك أنها تتصل بتاء التأنيث الساكنة، وبضمائر الرفع، وذهب أبو علي وابن السراج إلى أنها حرف، بدليل استعمالها استعمال إلا في الاستثناء نحو قولهم: اتوني ليس زيدا، فليس هنا بمعنى إلا، ويرى المخزومي أنه لا صلة لها بكان، لأن كان إثبات وليس نفي، فهي ليست من الأفعال الناقصة[3].

وهذا جدول يوضح ورودها بين السور:

السور	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف
تكرار العاملية	2	0	1	0	0	0	0
النسبة	%66,66	0%	%33,33	0%	0%	%0	%0

(1) ينظر :الصابوني،سابق،ص182
(2) ينظر:الصابوني،سابق،ص201
(3) ينظر: مهدي المخزومي، مرجع سابق،ص258-261

الواضح من هذا الجدول أن ورود عاملية (ليس) في سور الحواميم كان قليلا، فقد وردت ثلاث (3) مرات ، بنسبة 2,91% من عاملية النفي، وربما ترجع قلة توظيفها إلى أن القرآن يوظف الأدوات الأكثر استعمالا لأنها أكثر حجة ولأنه يخاطب الناس بمعهودهم من الكلام ليكون حجة عليهم، كما أنه يستعمل (ما) و(لا) للجمل التي تحتاج إلى تأكيد النفي ولا ينفيها بـ(ليس) والمقام في سور الحواميم وغرضا الأساس يحتاج إلى الأدوات الأصل في النفي لينفي مزاعم وأباطيل المشركين، ويثبت أسس العقيدة .

وقد وظفت هذه العاملية مرتين في سورة غافر بنسبة 66,66%من عاملية النفي، وهي النسبة الأكبر لأن موضوع السورة يتطلب استخدام أنواع من النفي لرد ونفي مزاعم المشركين ولتحقيق الإقناع، كما وظفت هذه العاملية مرة واحدة في سورة الشورى بنسبة 33,33%، وسبب قلة توظيف هذه الأداة في هذه السور هو أنّ المحور العام للشورى هو الوحي والتعريف بالله الذي يوحي إلى رسله، فقد عرض فيها الله سبحانه وتعالى أدلة إثبات أن القرآن وحي من الله، وهذا يستدعي استعمال أدوات النفي الآكد والأقوى حجة في النفي لرد مطاعن المشركين وتكذيبهم للقرآن والوحي وإثبات صدق الرسل.

وقد كان طابع التوجيه الحجاجي لهذه العاملية دعوي في الغالب، إلى جانب طابع النفي وهو ما ناسب الغرض العام للسور وسياقها.

نماذج تطبيقية:

قال تعالى: ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢﴾ [غَافِر : 42]، أي تدعونني للكفر بالله، وعبادة ما ليس لي علم بربوبيته[1]، فهذا التركيب المنفي حجة نتيجتها الترغيب في الإقلاع عن الشرك، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى الإيمان بالله وحده لاستحقاقه ذلك.

[1] الصابوني محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج3[104/25]

وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ [غَافِر : 43]، أي لا يصلح أن يعبد لأنه لا يستجيب لنداء داعيه، ولا يقدر على تفريج كربته لا في الدنيا ولا في الآخرة[1].

فالنفي في هذه الآية حجة نتيجتها عدم منفعة الأصنام التي يعبدونها وعدم استحقاقها العبودية، والتوجيه الحجاجي هو الدعوة إلى عبادة الله وحده وعدم الشرك به.

قال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورَى : 11]، هذه الجملة كالنتيجة فإنه لما قدم ما هو نعم عظيمة، تبين أن الله لا يماثله شيء في تدبيره وإنعامه، وإذا كان المثل واقعا في حيز النفي فالكاف تأكيد لنفيه، فكأنه نفى المثل عن الله تعالى، واعلم أن هذه الآية نفت أن يكون شيء من الموجودات مماثلا لله تعالى في صفات ذاته[2].

فالقول المنفي في هذه الآية حجة نتيجتها دحض اتخاذهم أندادا لله فهو الواحد الأحد الفرد الصمد، أما التوجيه الحجاجي فهو تقرير تفرد الله تعالى ونفي المِثل عنه.

5.6-عاملية النفي بـ(إن):

تعد إن أداة نفي تدخل على الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وتستعمل غالبا في القصر، وإن دخلت على الجمل الاسمية كانت لنفي الحال عند النحاة[3].

ويرى السامرائي أنها تكون لغير الحال أيضا، فتكون للاستقبال كقوله تعالى:﴿ إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمان عبدا﴾ مريم/93 ،كما تكون للحقيقة غير مقيدة بزمن كقوله تعالى:﴿ إنْ أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم﴾ المجادلة/2 ،وتكون للمضي نحو قوله تعالى:﴿ إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾ ص/14، وتجيء للدلالة على الاستمرار أيضا كقوله تعالى:﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾

(1) الصابوني محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 155
(2) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير [25/45-47]
(3) ينظر: مهدي المخزومي ، سابق،254,253

الإسراء/44.« فهي لنفي الحال عند الاطلاق، و إن قيّدت كانت بحسب ذلك القيد و تدخل على الفعل الماضي والمضارع ، وهي آكد من ما، يدل على ذلك اقترانها الكثير بـ(إلا) وهذا يعطيها قوة و تأكيد فإن القصر قوة »[1].

وقد وردت إن النافية في القرآن الكريم في عشرة ومئة موضع كلها مقترنة بـ(إلا) أو لمّا، عدا سبع آيات، ومما يدل على قوتها أيضا الاستعمال القرآني فإنه يستعمل (إن) فيما فيه زيادة التوكيد، وهي تستعمل كثيرا في الإنكار ،قال مجاهد :«كل شيء في القرآن (إن) فهو إنكار»[2].

الملفت للانتباه هو ورود هذه العاملية مرة واحدة في هذه السور بنسبة0,37% من العوامل الحجاجية، وبنسبة100%من عاملية النفي فيها، وكان ذلك في سورة الأحقاف، ويرجع ذلك إلى كثرة اقترانها بـ (إلا) مما يجعلها تفيد القصر، وأن السورة وظفت (لا) و(ما) الأصل في النفي، وكذلك القرآن هنا استخدم أسلوبهم فقد راعى كراهتهم توالي مثلين فسار على ما ألفوه حتى لا تكون لهم الحجة عليه، وقد كثر استعمالها في الحواميم لإفادة القصر لأن سياق السور يستدعي توظيفها بهذه الدلالة ، وذلك لأنها تناقش وتعرض أمورا ينكرها المخاطب ويشكك فيها ، فكان استعمالها في القصر أكثر حجة وإقناعا، كما أن مدار هذه السورة العام هو القرآن وموقف الخلق منه وبيان صدقه ومصدريته مما تطلب استعمال الأدوات الأخرى التي تؤدي إلى الإقناع والإذعان .

النموذج:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٢٦﴾ [الأَحْقَاف : 26]، أي ولقد مكنا عادا في الذي لم نمكنكم فيه يا أهل مكة من القوة والسعة[3]

(1) ينظر السامرائي : فاضل صالح السامرائي، معاني النحو،ص200
(2) نفسه،ص201,235
(3) الصابوني محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير مج3[100,199/26]

جاء النفي هنا بـ(إن) النافية مع أنها أقل استعمالا من (ما) النافية، قصدا لدفع كراهة من توالي مثلين في النطق وهما (ما) الموصولية و(ما) النافية، وقد دلت على نفي الحال أي أنكم لا تملكون ما ملك قوم عاد من قوة ورغم هذا قد نالهم العذاب، فما بالكم بأنفسكم وأنتم أقل قوة منهم، فهذا القول حجة نتيجتها بيان أن عذاب الله واقع على كل مشرك مهما بلغ من القوة، والتوجيه الحجاجي الدعوة إلى الإيمان بالرسل وتصديقهم.

6.6- عاملية النفي بـ(لن):

تعد (لن) من حروف النفي التي تختص بنفي الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع لا غير، وهي تجعل الفعل خالصا في الدلالة على الاستقبال من حيث المعنى، وإن كان في اللفظ باقيا على احتماله للحال والمستقبل، وهي نفي لقوله سيفعل[1].

ويمكن رصد توزيع هذه العاملية في سور الحواميم، في الجدول التالي:

السور	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف
تكرار (لن)	0	0	0	1	0	1	0
النسبة	%0	%0	%0	%50	%0	%50	%0

وردت هذه العاملية في سور الحواميم في موضعين بنسبة 1,92% من عاملية النفي، وكان ذلك في سورتي الزخرف والجاثية بنسبة 50%لكل منهما، وترجع ندرة استعمالها إلى كونها ليست الأصل في النفي، وأن الأدوات الأخرى آكد للنفي وأقنع في الحجة، وقد استعملت للنفي في الاستقبال لأن عدم المنفعة ستكون لاحقا عندما ينالون حسابهم عند الله.

وقد كان التوجيه الحجاجي لهذه العاملية دعوي خدم الغرض العام.

نماذج تطبيقية:

قال تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٩﴾ [الزُّخۡرُف : 39].

[1] ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص288

أي لا تلقوا اللوم على القرناء، فأنتم مؤاخذون بطاعتهم وهم مؤاخذون بإضلالكم، وأنتم مشتركون في العذاب فلا يخفف عن فريق[1].

ووقوع فعل(ينفعكم) في حيز النفي يدل على أن الاشتراك في العذاب لا يخفف منه شيئا، فالقول المنفي هنا حجة نتيجتها أن عذاب المعرضين عن القرآن عظيم ومستمر، أما التوجيه الحجاجي فهو الدعوة إلى الإيمان بالقرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجَاثِيَة : 19]،أي لن يدفعوا عنك شيئا من العذاب إن سايرتهم عن ضلالتهم، فالقول حجة نتيجتها النهي عن اتباع المشركين، والتوجيه الحجاجي الدعوة إلى اتباع شريعة الله والتمسك بها.

7.6-عاملية النفي بـ(هل):

(هل) هي كـ(إلا) النافية معنى واستعمالا، وهي تستعمل في القصر كقوله تعالى:﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان إلا الإحسان﴾ الدخان/60، كما تستعمل في غير القصر، وتدخل على الجملة الاسمية والفعلية كقوله تعالى:﴿ هل ينظرون إلا الساعة﴾[2] وهي في الأصل أداة استفهام، لكنها خرجت عن أصل وضعها فاستفهم بها عن شيء معلوم لأغراض حسب السياق ودلالة الكلام، والنفي هو أحد هذه الأغراض.

وقد وردت هذه العاملية مرة واحدة في سورة غافر التي اشتملت على كل العامليات تقريبا، وهو ما يناسب جوها الذي كان معركة بين الحق والباطل، فنوع فيه جل وعلا الأساليب حتى يحدث الإقناع ، ويتخلى المعاندين عن أفكارهم الفاسدة.

النموذج التطبيقي:

قال تعالى: ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غَافِر : 11]، فالمشركون هنا يستنجدون بأي نوع من الخلاص من هذا العذاب، أو حتى تخفيف له.

---

(1) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير ج214/25

(2) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه،ص255

ووجه اختصاص (هل) بوقوع (من) الزائدة في المستفهم عنه بها، أنه كثر استعمال الاستفهام بها في معنى النفي وزيادة (من) حينئذ لتأكيد النفي، وتنصيص عموم النفي[1]، فهذا القول المنفي حجة نتيجتها لا مفر ولا مهرب من عذاب جهنم، والتوجيه الحجاجي هو تيئيس الكفار من الخلاص من عذاب جهنم.

بعد تقصي مواضع النفي في السور الحواميم، وبيان قيمته الحجاجية، مما لاحظناه أنه وظف مئة وثلاثة (103) مرة بنسبة 38,78%. حيث وظفت الأداة (لا) خمسا وخمسين (55) مرة، (11) مرة في غافر وفصلت، و(ما) ستا وثلاثين(36) مرة، وهما الأكثر حضورا ، بينما وظفت (لم) خمس مرات، و(ليس) ثلاث مرات ،و(لن)مرتان و(إن) مرة واحدة لأنها وظفت في القصر وهو ما ناسب المقام، وكذلك (هل)، وكانت سورة غافر الأكثر توظيفا لهذه الأدوات حيث بلغت فيها نسبة النفي بصفة عامة 22,85% ، كما وجدنا فيها (23)أداة منها (11) (لا) و(8) (ما)، وتليها سورة الشورى بنسبة 19,23 %، وكان توظيف (ما) فيها أكثر من أي سورة حيث كان عددها (10)، وأقل نسبة لهذه العاملية سجلناها في سورة الدخان والتي قدرت بـ 4,80%، وقد لاحظنا أن النفي ب(لا)و (ما) أكثر استعمالا من الأدوات الأخرى، ويرجع ذلك إلى كونهما الأصل في النفي في العربية، زيادة على أنه من أسلوب القرآن استعمال النفي بـ(ما)للجمل التي تحتاج إلى توكيد كثير، ولأن مقاصد هذه السور تدور حول ترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الإيمان وإثبات وحدانية الله والوحي، ولأن آل حم كلها دارت حول إبطال شبه المبطلين ودحض ضلالتهم مما استدعى استعمال هذه الأدوات لتكون أكثر إقناعا.

والتوجيه الحجاجي للنفي فيها كان أغلبه دعويا تأكيديا، خدم الغرض العام والأغراض المتفرعة عنه، في الدعوة إلى الإيمان والتصديق بأمور العقيدة، وتأكيد البعث والجزاء والعذاب للكافرين والجاحدين لآيات الله ليعتبر كل من تسول له نفسه الشرك بالله وتكذيب الرسل والوحي.

(1) بن عاشور محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير [99/24]

عاملية النفي في سور الحواميم

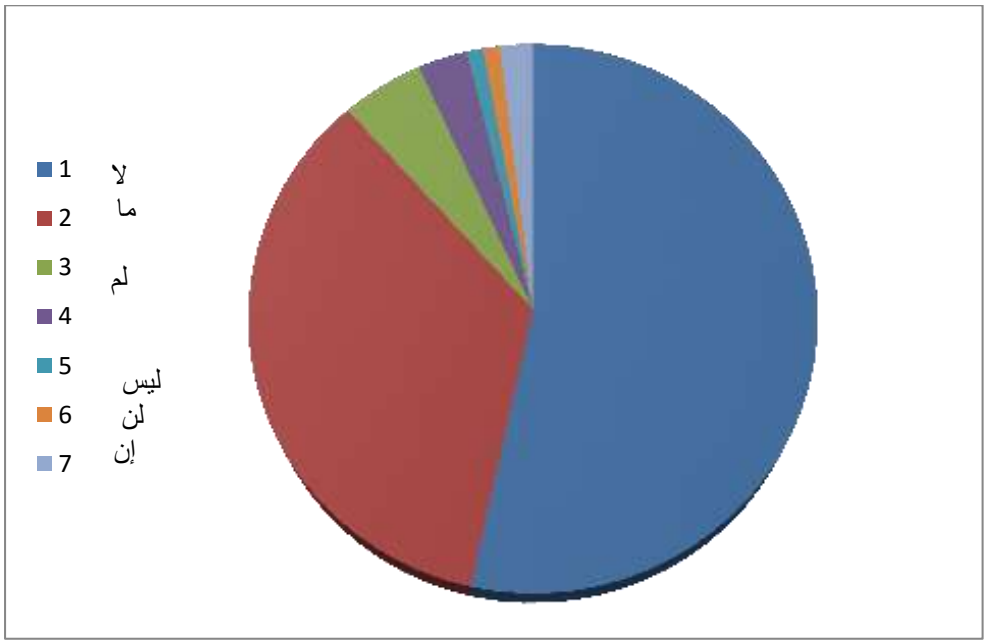

وما يمكن استخلاصه أيضا هو أن القران في سور الحواميم سلك مسلكي النفي والإثبات معا في نفي استحقاق الألوهية لغير الله وإثباتها لله وحده وإثبات أن القران وحي من الله وليس بكلام بشر ونفي تهم الكفار والمشركين للرسل، وفي إثبات البعث ونفي اعتقاداتهم وأفكارهم الفاسدة .

أما عن الحجج الموظفة لإقناع المخاطبين، فالملاحظ أن الخطاب القرآني في سور الحواميم قد سلك في تقرير حقيقة وحدانية الله مسالك حجاجية عديدة، فوظف الحجج الحسية للاحتجاج على الربوبية بذكر مظاهرها المبثوثة في الكون والأنفس لأنها ظاهرة لا تغيب عن الإنسان، فجعل الكون بمظاهره المختلفة حجة على إثبات وحدانيته سبحانه وتعالى، كما إحتج على تقرير الوحدانية بنفي صحة نقيضها وذلك بإيراد آيات تنفي قدرة المعبودات الأخرى على أي نوع من مظاهر الربوبية فنفى عنها الخلق والرزق والنصرة والشفاعة والنفع وكلها دلائل على عجزها وافتقارها مما يجعلها لا تستحق شيئا من الألوهية.

كما وظف الحجج المعنوية فقوله تعالى:﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ الدخان الآية 38فهذه الآية استدلال على البعث بالحكمة الإلاهية، فهي تقتضي أن هناك بعث فلا يعقل أن الله خلق هذه الحياة عبثا بل لا بد أن يكون لحكمة، وقوله في الآية 21 من سورة الجاثية :﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا

الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ وقوله تعالى:﴿ وما يستوي الأعمى والبصير، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما يتذكرون﴾ غافر الآيتين 58-59، فهذا استدلال أيضا على البعث بالعدالة الالاهية.

والتوجيه الحجاجي لهذه الحجج غلب عليه الطابع الدعوي الذي يهدف إلى تأمل آيات القرآن والآيات الكونية الدالة على وحدانية الله وألوهيته وقدرته، بالإضافة إلى النفي الإثباتي لأن الحجج المقدمة غايتها تصحيح مفاهيم كانت قائمة في أذهان الكفار، وتغيير أفكار خاطئة، وإثبات عقيدة الإيمان .

وما لاحظناه كذلك اقتران النفي بحرف الجر أو النكرة في كثير من المواضع وهذا يعتبر موجه حجاجي مضاعف لما يسهم به في توجيه السامع إلى دلالات مخصوصة وإكساب الملفوظ شحنة حجاجية أقوى تناسب مقاصد المخاطِب .

أن في سور الحواميم استعمل النفي فيها بعدة أساليب ،كنفي الشيء بإيجابه كقوله تعالى: ﴿وَقَال مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ٢٧﴾ [غَافِر: 27]، فقد نفى الإيمان عن فرعون وهو غير مؤمن أصلا، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾ [غَافِر : 31]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فُصِّلَت : 46]، نفى الظلم على الله تعالى وهو سبحانه العدل.

وهناك النفي مطلقا كقوله تعالى: ﴿من يظلل الله فما له من هاد﴾ نفي الهادي مطلقا، وقوله :﴿لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ فقد نفى الظلم مطلقا، وقوله :﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ فقد نفى الشفيع مطلقا، وقوله: ﴿ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٨﴾ [الشُّورَى : 8]، فقد نفى الولي والناصر من العذاب مطلقا.

وخلاصة ما يقال في النفي، هو أنه عامل حجاجي يحقق به المتكلم الوظيفة الحجاجية للغة المتمثلة في إذعان المتلقي، وتسليمه لما يطرح عليه من خلال توجيهه بالملفوظ نحو

نتيجة محددة، وقد كان لهذه العاملية دورا بارزا في إبراز حجاجية اللغة في هذه السور، إلى جانب خدمة المقاصد العامة لها.

الفصل الثالث: عاملية الشرط

1- تعريف الشرط لغة واصطلاحا
2- أنواع الشرط
3- بناء جملة الشرط
4- أدوات الشرط
5- عاملية الشرط الحجاجية
6- حجاجية الشرط في السور الحواميم

1. تعريف الشرط لغة و اصطلاحا:

يعتبر الشرط أسلوبا من أساليب الكلام في اللغة، مثله مثل النفي والاستفهام وغيرها من الأساليب ،ومن التعاريف اللغوية للشرط نذكر ما يأتي:

«الشرط في اللغة عبارة عن العلامة، ومن أشراط الساعة والشروط في الصلاة»[1]

وجاء في المعجم الوسيط: «الشَرْطُ ما يوضع ليلتزم به في بيع أو نحوه، وفي الفقه :ما لم يتم الشيء إلا به، ولا يكون داخلا في حقيقته، وعند النحاة ترتيب أمر على أمر آخر بأداة، والشَرَطُ العلامة (ج) أشراط ، وفي التنزيل العزيز :﴿فقد جاء أشراطه﴾»[2]

أما اصطلاحا فقد عرفه الجرجاني بقوله:« تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجا عن ماهيته ...وقيل الشرط :ويتوقف ثبوت الحجم عليه»[3]، وقال فيه محمد الأنطاكي« الشرط هو تعليق حدث على حدث، وبعبارة أخرى هو ربط حدثين برابط السببية ،بحيث يكون الأول سببا للثاني، ويكون الثاني مسببا عن السببية، كربط نجاح زيد باجتهاده، (إن يجتهد زيد ينجح)»[4]، ويرى المخزومي« الشرط أسلوب لغوي يبنى –بالتحليل– على جزأين، الأول منزل منزلة السبب والثاني منزل منزلة المسبب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول ،وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول»[5].

وعرفه اللبدي بقوله: «الشرط تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وهو أسلوب لغوي له مكوناته وأركانه وهي أداة وفعلان، الثاني منها يترتب حصوله على حصول الأول، أو جواب وجزاء له»[6].

---

(1) الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ،معجم التعريفات،،تح : محمد الصديق المنشاوي ،دار الفضيلة (القاهرة) ، دط ، د ت ص108

(2) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة،ط4-2004، ص479،باب الشين

(3) الجرجاني ،سابق ،ص108

(4) محمد الأنطاكي ،المحيط في أصوات اللغة، دار الشرق العربي، بيروت ، لبنان، (د..ط، د.ت) ،ص53

(5) مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه،ص284

(6) اللبدي :محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية و الصرفية، مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان،ط1-1985،ص114

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للشرط يتضح أنهما يدلان على أن معناه هو تعلق شيء بشيء آخر لا يحدث إلا بحدوثه.

ولم يدرس النحاة الشرط كباب مستقل من أبواب النحو ،بل درسوه في باب النفي، وضعوا أدوات الشرط موضع أدوات النفي العاملة، فهم بهذا خلطوا بين أسلوبين لا جامع بينهما ودليل ذلك وضعهم إن الشرطية وأخواتها في باب النفي[1]، لكن الفرق بينهما شاسع، فلكل منهما دلالته الخاصة ،فالنفي يعبر عن حكم، بينما الشرط لا يعبر عن حكم، ولا توجد دلالة على تحقق محتواه أو عدم تحققه[2].

2-أنواع الشرط:

ذكر محمد الأنطاكي في كتابه المحيط في أصوات اللغة أنواعا للشرط هي:

1.2- الشرط الاحتمالي[3]: ويقوم على ربط حدثين برابط السببية ،بحيث يكون الأول سببا للثاني، ويكون الثاني مسببا على الأول، وسمي احتمالي لأن الحدث الأول محتمل الوجود ومحتمل عدم الوجود، أي أنه له وجهان، وكذلك الثاني كونه مربوط بالأول برابط السببية، كقولنا(إن هطل المطر نبت الزرع)، فهطول المطر احتمالي قد يتحقق وقد لا يتحقق والحدث الثاني هو أيضا احتمال.

وما يميزه هو أنه سببي السبب فيه محتمل فالمسبب تابع له في الاحتمال، وهو جائز الوقوع في كل الأزمنة ولا يلزمه إلا أن يكون المتكلم غير عالم بصورة معينة لتحقق الحدث، وفيه زمن الجواب متأخر عن زمن الشرط، ولا يجوز أن يتقدم عليه، وأدواته هي(إن)و(إذما) و(إذا).

2.2- الشرط الامتناعي[4]: هو شرط سببي أي يقوم على عقد السببية والمسببية بين الحدثين، فيجعل أولهما سببا لثانيهما، والفرق الوحيد بينه وبين النوع السابق هو أن هذا النوع ليس له وجهان محتملان في التحقق بل له وجه واحد هو وجه الامتناع.

---

(1) عبد العزيز الصالح المعيبد، الشرط في القران الكريم، رسالة ماجستير إشراف علي المحروس ناصف، جامعة القاهرة (1976) ،ص19، 69

(2) ينظر: المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه،ص298

(3) ينظر: محمد الأنطاكي ، المحيط في أصوات العربية و نحوها و صرفها ،ص 53-55

(4) ينظر : نفسه،ص59

ولما كان المسبب تابعا للسبب عدما و وجودا كان المسبب هنا ممتنعا لامتناع سببه، كقولنا (لو جاء زيد لأكرمته) حيث أن السبب وهو مجيء زيد ممتنع وكذلك المسبب ممتنع لامتناع سببه ، والأداة المستعملة في هي(لو).

3.2- الشرط الوجودي[1]: هو الآخر شرط سببي، أي يقوم على ربط الشرط بالجواب برابط السببية –كما أشرنا – ولكنه على عكس الشرط الامتناعي، فالسبب هنا متحقق على صورة الوجود لا على صورة الامتناع، ولما كان الجواب يتبع الشرط وجودا وامتناعا، فهو هنا موجود أيضا. والأداة الوحيدة لهذا النوع هي (لمّا) التي يقال فيها حرف وجود لوجود أو حرف وجوب لوجوب.

4.2- الشرط الامتناعي الوجودي[2]: هو شرط سببي، لكن الشرط فيه موجود ووجوده سبب امتناع الجواب، كقولنا (لولا رحمة الله لهلك الناس) فهلاك الناس ممتنع بسبب وجود رحمة الله، وسبب وجود الشرط وعدم امتناعه هنا هو أنه كان ممتنعا مع لو فلما دخلت عليه (لا) و(ما) مركبتين مع لو على شكل (لولا، لوما) انتفى امتناعه فانقلب إلى وجود، لأن نفي النفي إثبات، والأداتان المتعلقتان به هما(لولا)و(لوما) اللتان يقال فيهما حرف امتناع لوجود أي امتناع الجواب لوجود الشرط.

5.2- الشرط اللاسببي[3]: وهو يختلف عن الأنواع السابقة اختلافا جوهريا، فلا يقوم على علاقة السببية بين حدثين، بل يهدف إلى نفي العلاقة السببية المتوهمة بينهما، ويسمى الوصلي أيضا، فمثلا قد يتوهم أحدهم أن الغفلة سبب للموت وأن الحذر سبب الخلود، فإذا أردنا أن ننفي هذه العلاقة القائمة في ذهنه، لجأنا إلى حيلة فنربط له الحذر بالموت فنقول(ستموت ولو كنت حذرا)، فإذا قبل ذلك انقطعت العلاقة التي كان يقيمها بين الحذر والخلود، لكنه في الوقت ذاته لا يستطيع أن يؤمن بأن الحذر سبب الموت، فينتهي به الأمر إلى رفض العلاقتين وهو المطلوب.

والفرق بينه وبين الشرط الامتناعي هو أن هذا الأخير يصح أن يعقبه حرف الاستدراك داخلا على فعل الشرط منفيا، كقولنا(لو جئتني لأكرمتك لكنك لم تجئ) واللاسببي يصح أن

---

(1) ينظر: محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية،ص63

(2) ينظر: نفسه،ص64

(3) ينظر: نفسه،ص66

يعقبه اسم الاستفهام كي داخلا على فعل الشرط منفيا، كقولنا(لو حلفت بالله ما صدقتك، فكيف إن لم تحلف؟)، وأدواته هي (لو) و(إن).

6.2- شبه الشرط[1]: وسمي كذلك لأنه- حسب ما يرى الأنطاكي- لا وجود لعلاقة رابطة بين الحدثين، بل هناك روابط أخرى هي:

-الذات العاقلة: نحو(من يجتهد ينجح)، وأداته مَنْ

- الذّات غير العاقلة : ما تزرع تحصد ، أداته ما

- الزمان :متى تجلس أجلس، أداته متى وأيّان

- المكان: أين تجلس أجلس، أدواته أين وأنّى وحيثما

الكيفية: كيف تجلس أجلس، أداته كيف.

مما سبق يتبين أن الأنواع الأربعة الأولى للشرط تتشابه في كونها تقوم على علاقة السببية بين حدثين، بينما الشرط اللاسببي ينفي هذه العلاقة تماما.

3- بناء جملة الشرط:

عماد الجملة الشرطية هو الربط بين حدثين مختلفين يكون الأول مقدمة والآخر نتيجة، ويكون الربط بين تركيبين إسناديين يتم بواسطة أداة تعمل على ترتيب العلاقة بينهما وجودا أو عدما، ماضيا أو مستقبلا[2]، في حين أورد الجرجاني أدق الآراء «واعلم أن سبيل الجملتين في هذا وجعلهما بمجموعهما بمنزلة الجملة الواحدة سبيل الجزأين تعقد منهما الجملة، ثم تجعل خبرا أو صفة أو حالا ...فكما يكون الخبر والصفة والحال لا محالة في مجموع الجزأين لا في أحدهما كذلك يكون الشرط في مجموع الجملتين لا في أحدهما»[3]، ويقول المخزومي« جملة الشرط تتألف من عبارتين لا استقلال لإحداهما عن الأخرى، تسمى الأولى شرطا وتسمى العبارة الثانية جوابا أو جزاء، وليست عبارة الشرط جملة، وإن تألفت في

(1) محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية،ص68

(2) ينظر :معين محمد رمضان يوسف ،تحليل جملة الشرط و بيان أثرها على المعنى التفسيري دراسة تطبيقية على سورتي المائدة و الأنعام، رسالة ماجستير ،إشراف: عبد السلام حمدان اللوح، غزة-فلسطين (2015)،ص24

(3) عبد العزيز علي الصالح المعيبد، الشرط في القران الكريم،ص59

ذاتها من مسند ومسند إليه لأنها–على حدة– لا تعبر عن فكرة تامة أيضا، وهذه الفكرة التامة إنما يعبر عنها بجملة الشرط التي تعتمد في وجودها على الشرط وجوابه معا»[1].

تعتمد جملة الشرط على بناء خاص وهو: أداة الشرط +جملة الشرط + جملة جواب الشرط أو ما يسمى بالجزاء، وقد يتغير هذا النظام بتقديم عبارة الجواب على أداة الشرط مع بقاء الدلالة، نحو قوله تعالى: ﴿ فذكر إن نفعت الذكرى﴾، لكن النحاة منعوا ذلك، لأن الشرط له الصدارة ، ولأن أداة الشرط لا تعمل فيما قبلها لأنها لم تبلغ مستوى الفعل في العمل فيما قبله وما بعده[2]، في حين يرى فاضل صالح السامرائي أنه يجوز تقدم الاسم عن الفعل في جملة الشرط للعناية والاهتمام، ويكون ذلك لأغراض عديدة كالتخصيص ،التهويل، التعظيم، أو التحقير[3].

غالبا ما يقترن جواب الشرط بالفاء وذلك للربط بين جملة الشرط وجوابه، لأنها تفيد السبب ، ولأنها تفيد تعيين الجزاء وإيضاح المعنى، وحذفها يؤدي إلى الالتباس أو إلى عدم اكتمال المعنى أحيانا[4].

وقد يحذف جواب الشرط لأغراض عديدة منها: الاختصار لدلالة السياق عليه، وهو من أعظم دلائل الإعجاز البياني للقرآن، كما يحذف لتعظيم الأمر وشدته في مقامات الوعيد ليدل على عظمة المقام وشدة هوله، وفظاعته فلا يحويه لفظ ولا يدركه وصف لتذهب نفس السامع كل مذهب، أو للتفخيم من غير الوعيد لما فيه من الإبهام يجعل نفس المتلقي تجول في الأشياء، كما يكون للترغيب في أمر ما[5].

أما من الناحية الحجاجية فالتركيب الشرطي جملة الشرط فيه تمثل الحجة وجملة جواب الشرط تمثل النتيجة ، أما التوجيه الحجاجي له فيضبطه السياق[6].

---

(1) مهدي المخزومي ،في النحو العربي نقد و توجيه،ص284

(2) ينظر المخزومي ، مرجع سابق ،ص289

(3) ينظر: السامرائي: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو [ج4/103,104]

(4) ينظر:نفسه،ص106

(5) ينظر: أحمد محمد البيك ،تحليل جملة الشرط و بيان أثرها على المعنى التفسيري ،دراسة تطبيقية على سور(الأعراف، الأنفال، التوبة) ،رسالة ماجستير، إشراف: عبد السلام حمدان اللوح، غزة ، فلسطين (س.ج 2014) ، ص36,35

(6) ينظر: لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب،ص62

4-أدوات الشرط:

للشرط في العربية عدة أدوات وتتمثل وظيفتها في الربط بين جملتي الشرط وجوابه، ويرتبط معنى الجملة الشرطية بمعنى الأداة الموظفة ،« فمعاني أسلوب الشرط تتوقف على معاني أدواته، وهذه الأدوات تدل على معنى وظيفي عام هو التعليق الشرطي ،فجميعها يتفق في تعليق الجواب على وقوع الشرط ما عدا في الشرط الامتناعي، وتختلف من ناحية المعنى، فمنها ما وضع للزمان المجرد، وأخرى للمكان، ومنها ما يختص بالأمر المتيقن أو المحقق، وإما بالمشكوك المستحيل»[1].

وتنقسم أدوات الشرط من حيث الدلالة إلى أدوات دالة على الشرط أصالة، وأدوات غير دالة أصالة على الشرط:

1.4- الأدوات الدالة على الشرط أصالة:

وهي: (إن)، (إذا)، (لو) وهي الأصل في الشرط.

2.4- أدوات غير أصلية للشرط[2]: وهي ألفاظ تستعمل للكناية على أشخاص أو أشياء، أزمنة، أو أمكنة وغيرها في الأصل، لكنها تستعمل استعمال الأدوات في الشرط بتعليق الجواب علة الشرط، وهي كثيرة، منها: (مهما) ،(من)، (أي)، (أين)، (متى) ...

وقد تدخل (ما) بعد أدوات الشرط فتبهم ما ليس مبهما وتزيد إبهام ما كان مبهما، كما أنها تفيد توكيد فعل الشرط، ومعنى التوكيد أظهر في الاستعمال القرآني فحيثما زيدت (ما) مع (إذا) الشرطية أكد شرطها بالنون وهو غالب في الاستعمال العربي أيضا[3]

5-عاملية الشرط الحجاجية:

ويعد الشرط عاملا تداوليا لما يمتلكه من قيمة حجاجية كبيرة، فبنية الملفوظ الشرطي هي بنية حجاجية، وذلك لأنها تحصر مجموع الامكانات الممكنة في إمكان محدد، مما يجعل ذهن المخاطب يتجه نحو مسلك واحد داخل العملية التخاطبية، فأسلوب الشرط يحقق

(1) ينظر: محمود محمد حلوة، أسلوب الشرط في لزوميات أبي العلاء المعري(دراسة نحوية)،رسالة ماجستير، إشراف: فضل محمد النمس، جامعة الأزهر –غزة، فلسطين،(2018)،ص14

(2) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه،ص291-295

(3) ينظر السامرائي: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو[ج4/95-99]

علاقة بين جزأيه وهي ما يعرف بالاقتضاء الحجاجي ،حيث لا يتحقق أحد الجزأين إلا بتحقق الآخر، فعلاقة الاقتضاء الحجاجي تتجسد من خلال عامل الشرط الحجاجي[1].

6-حجاجية الشرط في سور الحواميم:

بعد تقصي مواضع عاملية الشرط في سور الحواميم وجدناعددها خمسا وثمانين (85) مرة، وهو ما يمثل نسبة 31,71% من النسبة الكلية للعوامل الحجاجية، وقد اختلف ورود ها من سورة إلى أخرى، ومن عاملية إلى أخرى، وذلك حسب مقصد كل سورة وموضوعها، وقد اقتصرنا على الأدوات التي وجدناها في السور والجدول الآتي يوضح عدد العامليات ونسبة ورودها في كل سورة حسب عاملية الشرط ككل:

الأداة / السورة	إن	إذا	لو	من	أمّا	لولا	المجموع	النسبة
غافر	4	4	1	4	1	0	14	%16,86
فصلت	7	4	2	2	1	2	18	%21,68
الشورى	4	1	2	8	0	2	17	%20,48
الزخرف	3	3	3	1	0	3	14	%16,86
الدخان	3	0	0	0	0	0	3	%3,61
الجاثية	2	3	0	2	1	0	8	%8,43
الأحقاف	4	3	1	1	0	1	12	%12,04
المجموع	27	18	9	18	3	8	83	

[1] ينظر: محمد الديسي الجزائري و محمد فارح و عبد اللطيف حني، بحث بعنوان الشرط و أثره الحجاجي في الخطاب مقاربة تداولية حجاجية في مناظرة بين العلم و الجهل، مجلة لغة كلام، جامعة غليزان ،الجزائر:ت.إ2020/6/27،ت.ق2020/12/11،ت.ن 2021/1/15

النسبة	%32.53	%21.68	%10.84	%21.68	%3.61	%9.63		

من خلال الجدول نلاحظ تنوعا في استخدام أدوات الشرط، لأن الغرض العام لسور الحواميم يقتضي التنويع في الأساليب والأدوات، لأنها تعالج قضايا غاية في الأهمية، وتخاطب أشد الناس إنكارا لها، مما استدعى ذلك، وأسلوب الشرط خدم غرض السور تظافرا مع أسلوبي النفي والقصر، فوظف النفي لنفي معتقدات وإثبات معتقدات بديلة ،و وظف الشرط ليتضح من خلال الجزاء في حالتي الرفض والإذعان لما يطرح من قضايا العقيدة، حيث يورد عز وجل الحجج القاطعة فإن لم يقتنعوا بها فيبين لهم نتيجة ذلك من خلال توظيف هذا الأسلوب الذي يعتبر من أهم الأساليب التي تقوم بحصر وتقييد المعاني والإمكانات داخل التركيب للوصول للنتيجة المطلوبة وإقناع المخاطب، حيث كانت جملة الشرط حجة وجوابه النتيجة المترتبة عليها.

كما يظهر أن السورة الأكثر توظيفا لها هي سورة فصلت حيث بلغ عدد العامليات فيها ثمانية عشرة (18)عاملية بنسبة 21,68%كما وظفت فيها كل العامليات، ولعل سبب ذلك أن المقام مقام تفصيل للآيات والأدلة ،أما السورة الأقل توظيفا لها هي سورة الدخان حيث وردت ثلاث مرات بنسبة 3,61% من النسبة الكلية للعاملية، وذلك بتوظيف أداة واحدة (إن)، لأن الدخان فيه عرض وتصوير للعذاب والعقاب فالمقام لايستدعي توظيف الشرط.

وفيما يلي سنطبق على هذه العاملية في (آل حم) ونكشف عن حجاجيتها، حسب الأداة، مع إيراد نماذج تطبيقية مختارة وفق معيار الأكثر ورودا، والأقل ورودا:

1.6- عاملية (إن):

- **(إنْ)** أداة شرط تستعمل في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في وقوعها، والموهومة والنادرة والمستحيلة، وهي لتعليق أمر بغيره عموما[1]، قال الخطيب في الإيضاح« إن الأصل في إن ألا يكون الشرط فيها مقطوعا في وقوعه»[2] لذا فهي لا تقع في كلام الله تعالى، لأنه عالم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، وهي أم الجزاء قال سيبويه: « وزعم الخليل أن (إن) هي أم الجزاء، فسألته لما قلت ذلك؟ فقال، من قبل أني أرى حروف الجزاء

[1] معين محمد رمضان يوسف ، تحليل جملة الشرط و بيان أثرها على المعنى التفسيري
[2] مهدي المخزومي، سابق، ص 290

قد ينصرفن فيكن استفهاما، ومنها ما يفارقه ما فلا يكون فيه جزاء، وهذه على حال واحدة أبدا لا تفارق المجازاة»[1]، ويقول ابن يعيش: «واعلم أن إن هي أم هذا الباب للزومها هذا المعنى وعدم خروجها عنه إلى غيره»[2].

وتعد أم أدوات الشرط لأنها حرف والأصل في إفادة المعاني الحروف، ولأنها تستعمل في الشرط في كل ضرب وليس هكذا سائر الأدوات، ويحذف جوابها لزوما إذا اتصلت بلام القسم ويدل عليه جواب القسم الذي يسد مسده، لأن جواب الشرط خبر يجوز فيه الصدق والتكذيب، في حين جواب القسم لا يحتمل إلا التصديق، فيكون القسم أولى بالجواب[3].

وهي تقتضي تعليق شيء ولا تستلزم وقوعه ولا إمكانه، بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الزُّخْرُف : 81]، «... إن يكون شرطها في الأغلب مستقبل المعنى، فإن أردت معنى الماضي جعلت الشرط لفظ (كان) »[4]

وبعد تقصي هذه العاملية في سور الحواميم توصلنا إلى النتائج الموضحة في الجدول التالي:

السورة	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف	المجموع
العدد	4	7	4	3	3	2	4	27
النسبة%	%14,81	%25,92	%14,81	%11,21	%11,11	%7,40	%14,81	%99,96

من خلال النتائج يتضح أن هذه العاملية وظفت سبعا وعشرين(27) مرة بنسبة 26,21%من النسبة الكلية للشرط و ذلك لأن هذه الأداة هي أم الشرط في العربية، والقرآن في هذه السور يخاطب أهل مكة فوظف ما عهدوه من لغتهم حتى لا تكون لهم حجة عليه، والسورة الأكثر توظيفا لهذه الأداة هي سورة فصلت حيث وردت فيها سبع(7) مرات بنسبة 25,92% من هذه العاملية، وذلك لأن محورها العام هو القرآن وإثبات أن مصدره هو الله

(1) عبد العزيز علي الصالح المعيبد ،الشرط في القران الكريم ،ص70 نقلا عن الكتاب لسيبويه
(2) ابن يعيش ، شرح المفصل [159/8]
(3) أحمد محمد البيك، تحليل جملة الشرط و بيان أثرها في المعنى التفسيري،ص19
(4) السامرائي فاضل صالح السامرائي، معاني النحو [ج4/64-69]

والدعوة إلى التصديق به ومن خلال التصديق به يحدث التصديق بالقضايا الأخرى لأن القرآن يفسرها ويوضحها ويحتج لها فهي تفصل في الحجج الدالة على مصدر القرآن و صدقه و إيمانهم بالقرآن و ما فيه من قضايا أمر مشكوك فيه لذا كثر استعمالها.

بينما تساوت غافر والشورى في العدد(4)مرات بنسبة14,81%من نسبة العاملية، أما السورة الأقل توظيفا لها كانت الجاثية حيث وردت مرتين بنسبة 7,40%.لأن المقام لم يستدعي توظيفها، لأنّ موضوع السورة يتمحور حول التنديد بالمشركين ،و وصف أهوال يوم القيامة وهذا يتطلب أساليب أخرى.

أما التوجيه الحجاجي لهذه العاملية كان دعويا عن طريق الترغيب في الثواب ليبتعدوا عما هم فيه من ضلالة ويتقبلون ما يعرض عليهم من مبادئ دينية، وتحذيريا عن طريق الترهيب من مآل الكفار وعذاب جهنم ليرتدعوا ويقلعوا عن الكفر والجحود .

نماذج تطبيقية:

قال تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣﴾ [فُصِّلَت : 13]

أي إن استمروا على إعراضهم بما هديتهم بالدلائل البينة وكابروا فيها فأنذرهم بعذاب كعذاب عاد وثمود[1]، الآية تخويف لأهل مكة من أن يصيبهم عذاب كعذاب عاد وثمود بسبب استمرارهم في الانكار رغم الأدلة البينة التي لا تترك للشك مكان في النفوس، فهذا الملفوظ الشرطي جملة فعل الشرط (أعرضوا) حجة، وجملة جواب الشرط (فأنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود)، أي إعراضهم عن الإيمان يقتضي وقوعهم في عذاب كعذاب عاد وثمود، فعاملية الشرط هنا وجهت القول إلى نتيجة محددة وألغت كل الإمكانات، والتوجيه الحجاجي له هو التحذير من إنكار آيات الله .

قال تعالى: ﴿فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤﴾ [فُصِّلَت : 24] والمعنى أن حاصل أمرهم أنهم قد زجّ بهم في النار فإن صبروا واستسلموا فهم باقون في النار، وإن اعتذروا لم ينفعهم عذرهم ولن يقبل منهم[2].

---

[1] ينظر: بن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير و التنوير [252/5]

[2] نفسه، ص[273/24]

فهذا الملفوظ تضمن شرطين وجواب شرط واحد:

– الأول: (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم):

– جملة الشرط (يصبروا) حجة، وجملة جواب الشرط (فالنار مثوى لهم) نتيجة، أي أن صبرهم (لأنه لا يسعهم في هذا المقام إلا الصبر) يقتضي بقاءهم في النار.

– الثاني: (إن يستعتبوا فما هم من المعتبين):

– جملة الشرط (يستعتبوا) حجة، وجملة جواب الشرط (فماهم من المعتبين)نتيجة ،أن اعتذارهم غير المقبول يقتضي هو الآخر بقاءهم في النار، فتكرار الشرط هنا أضاف للملفوظ قوة حجاجية خاصة وأن جواب الشرط (النتيجة) واحدة، فهم ظنوا أن الصبر ينفعهم ويخفف عنهم العذاب وهذا الظن مستحيل الوقوع لذا وظفت (إن) والتوجيه الحجاجي له هو تقرير استحقاق المكذبين العذاب المقيم والتحذير من تكذيب آيات الله.

– قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ [غَافِر : 12] صيغة الشرط هذه للدلالة على كمال سوء حالهم و حيث كان حالكم كذلك فالحكم لله، الذي لا يحكم إلا بالحق، وقد حكم أنه لا مغفرة للشرك، ولا نهاية لعقوبته فلا سبيل لخروجكم أبدا[1].

فنلاحظ من خلال بنية هذا الملفوظ الشرطي أن هناك علاقة اقتضاء بين جملة الشرط (يشرك به) الحجة وجملة جوابه(تؤمنوا) النتيجة، فإشراكهم بالله هو الذي اقتضى بالحكم عليهم بعدم المغفرة، فلا خروج لهم من هذا العذاب المقيم، و وظفت (إن) لأن الشرك بالله مشكوك في وقوعه، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة والإيمان به وحده.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٥﴾ [الجَاثِيَة : 25] .

(1) العمادي : أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان(د.ط)، (د.ت)،ج270/7

أي إذا تليت آيات القران الدالة على البعث ولزومه، لا يعارضوها بما يبطلها، بل يقولون إن كان البعث حقا فآتوا بآبائنا إن صدقتم[1] فجملة الشرط (كنتم صادقين) حجة، والجواب محذوف دل عليه ما قبله، والتقدير فأْتنا بآبائنا، وجيء بـ(إن) لأنهم لا يعتبرونه من الصادقين، فلما ذكرهم بدلائل البعث فأرادوا تعجيز الرسولﷺ الذي أخبرهم بذلك فتبين من ذلك عظيم بهتانهم ولأن البعث لا يكون في الدنيا فبطلت حجتهم وما عمهم وبانت مماراتهم للنبيﷺ، أما التوجيه الحجاجي تقرير إنكار المشركين للبعث.

2.6-عاملية (إذا):

(إذا) أداة شرط تدل على تعلق شيء بشيء، وتستعمل مع المقطوع بوقوعه أو المتوقع وقوعه، « فالأصل في إذا أن يكون الشرط مقطوعا بوقوعه، كما تقول: إذا زالت الشمس آتيك»[2].

وبعد تتبع مواضع توظيف هذه العاملية توصلنا إلى النتائج التالية:

السورة	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف	المجموع
العدد	4	4	1	3	0	3	3	18
النسبة%	%22,22	%22,22	%5,55	%16,16	%0	%16,66	%16,66	%98,17

من خلال الجدول يظهر أن عاملية (إذا) وظفت ثمانية عشر(18) مرة بنسبة 21,68%من النسبة الكلية للشرط، وكان أكثر توظيف لها في سورتي غافر وفصلت بتكرار أربع (4) مرات وهو ما يمثل نسبة 27,27% من عاملية الشرط، ويرجع ذلك – والله أعلم- إلى أن المقام يستدعي توظيفها لأن (إذا) توظف للمتحقق وقوعه وموضوع السورتين متحقق فمجادلة الكفار أمر متحقق وكذلك كفرهم بآيات القرآن أمر متحقق، زيادة على أنها من الأدوات الأصلية في الشرط والقرآن يوظف الأكثر استعمالا لتحقيق الغاية، وأقل توظيف لها كان في سورة الشورى، حيث وظفت مرة واحدة بنسبة 4,55% .

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير و التنوير]364/25]

[2] ينظر: مهدي المخزومي، سابق، ص 291

والتوجيه الحجاجي العام لها كان دعويا تحذيريا تأكيديا يخدم الغرض العام للسور.

نماذج تطبيقية:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٧٨﴾ [غَافِر : 78] أي إذا جاء الوقت المسمى لعذابهم أهلكهم الله وخسر المعاندون الذين يجادلون في آيات الله[1]

، فهذا المركب الشرطي جملة شرطه (جاء أمر الله) حجة، وجواب الشرط (قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) نتيجة، فمجيء اليوم الموعود يقتضي خسرانهم الذي كان بسبب نكرانهم، والتوجيه الحجاجي له هو التحذير من حلول أمر الله لمن مازال في غيه وبطلانه، ووظفت (إذا) هنا لأن أمر الله متحقق الوقوع، فكان الشرط هنا للتحذير ليجعل الانسان العاقل ينتبه لأعماله.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾ [فُصِّلَت : 20]

بعد ما ذكر لهم الأمم السابقة المكذبة ليتعظوا بحالهم، انتقل إلى إنذارهم بما سيحل بهم في الآخرة، وحتى ابتدائية وهي مفيدة لمعنى الغاية، و(إذا) ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط، وما زائدة تفيد توكيد معنى (إذا) من الارتباط بالفعل، فجملة الشرط(ما جاؤوها) حجة، وجوابها محذوف للتهويل[2]، وتعظيم الأمر لفظاعته ليجعل أذهانهم تذهب كل مذهب في تصور هذا الهول، وحذف مثله كثير في القرآن، ودخلت (ما) الزائدة على فعل الشرط لأن الله تعالى قصد توكيد معنى الشرط الذي تضمنته (إذا) لقوة معنى الجزاء ، أي لتأكيد الجزاء لأنهم ينكرونه، ولأن شهادة السمع والأبصار والجلود أمر مستغرب فأكده ، أما التوجيه لهذا الملفوظ الشرطي هو التحذير من مآل المشركين الوخيم، فوظف الشرط هنا للوعيد والترهيب ليجعل الإنسان ينتبه لأعماله في الدنيا حتى لا يصيبه ما أصابهم.

---

(1) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير مج3[111/24]

(2) محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير [266/24]

قال تعالى : ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾ [فُصِّلَت : 51] ، في هذه الآية يبين العزيز الغفار لنبيه أن الانسان من طبيعته الإعراض، فهو يعرض حتى عن خالقه فما بالك بك أنت، وهذا من باب تسلية الرسول ﷺ.

فجملة الشرط هنا مكونة من جملتين شرطيتين:

الأولى:(وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونآ بجانبه)،

جملة الشرط (أنعمنا على الإنسان) حجة، وجملة جواب الشرط(أعرض ونآ بجانبه) نتيجة.

الثانية: (وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض)، جملة الشرط(مسه الشر) حجة وجملة جواب الشرط (فذو دعاء عريض) نتيجة، تكرر أسلوب الشرط (إذا) وهي للشرط في الاستقبال ومتحقق الوقوع، ليصف الباري حال الإنسان مع خالقه وهو واقع فعلا، والتوجيه الحجاجي تقرير طغيان النفس البشرية والحث على شكر النعم.

3.6- عاملية (من):

مَنْ : كناية على العاقل، كما تكون شرطا لغير العاقل قال سيبويه: « من وهي للمسألة غير الأناسي ويكون بها الجزاء للأناسي وتكون بمنزلة الذي للأناسي»[1]

وظفت هذه العاملية تسعة عشرة (18)مرة، بنسبة 21,68% من النسبة الكلية لعاملية الشرط، وهي أقل توظيفا من (إن) ولعل هذا راجع إلى أنها ليست من الأدوات الأصلية، بل هي كناية دالة على العاقل، والخطاب القرآني – كما أشرنا- يفضل مخاطبة أهل مكة بما ألفوه وتعودوا استعماله، والجدول التالي يوضح توزيعها بين السور:

السورة	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف	المجموع
العدد	4	2	8	1	0	2	1	19

[1] السامرائي: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو [ج88,87/4]، نقلا عن الكتاب لسيبويه

النسبة%	%22,22	%11,11	%44,44	%5,55	%0	%11,11	%5,55	%98,17

من خلال الجدول يتبين لنا أن السورة الأكثر توظيفا لها هي سورة الشورى، حيث وظفت ثمان (8) مرات بنسبة 44,44% من النسبة الكلية للشرط، وهذه السورة محورها العام هو الوحي والرسالة وبيان أن مصدرهما هو الله تعالى، فالمقام يتطلب ذلك لأن هذه القضية في غاية الأهمية مما استدعى بيان جزاء من يصدق به وجزاء من يكذب به فكانت جملة الشرط بـ(من) هي الأكثر ملاءمة في هذا المقام، والأكثر إقناعا، وقد كان توظيفها للعاقل لأن السور تخاطب أهل مكة .ثم تأتي غافر في المرتبة الثانية حيث وظفت في أربع مواضع بنسبة 22,22%، وكان أقل ورودا لها في سورتي الزخرف و والأحقاف مرة واحدة بنسبة 5,55%،و ذلك لأن الزخرف تضمنت دعوة إلى عدم الاهتمام بزخرف الدنيا لأنه زائل و لم ينفع أمم سابقة فالمقام مقام اتعاظ و كذلك الأحقاف عرض لصور العذاب، بينما انعدمت في الد خان.

نماذج تطبيقية:

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠﴾ [الشُّورَى : 20]، الملفوظ الشرطي في هذه الآية فيه جملتا شرط

الأولى: (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه)، فجملة الشرط (كان يريد حرث الآخرة) حجة، وجملة جواب الشرط (نزد له في حرثه) نتيجة، والمقصود منها أن ابتغاء الآخرة يقتضي مضاعفة الحسنات والثواب والثانية: (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب)، فجملة الشرط (كان يريد حرث الدنيا)حجة وجملة جواب الشرط(نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) نتيجة، والمقصود منها أن ابتغاء الدنيا يقتضي المتاع العاجل، والمعنى العام من الملفوظين الشرطين أن مصير الآخرة إلى الزيادة والكمال ،ومصير الدنيا إلى النقصان ثم الفناء، أما التوجيه الحجاجي لهذين الملفوظين هو الحث

على إخلاص العمل لله من أجل الفوز بالآخرة دار الكمال والخلود، فأفاد الشرط هنا الترغيب ليجعل السامع لا يقيم وزنا للدنيا و يخلص في عمله لينال ثواب الآخرة الدائم.

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشُّورَى : 40]، أي من عفا عن الظالم وأصلح بينه وبين عدوه، يثيبه الله ثوابا كبيرا، ففي هذا التركيب جملة الشرط (عفا وأصلح) حجة ، وجملة جواب الشرط (أجره على الله) نتيجة ، وبين الجملتين علاقة اقتضاء وهي أن العفو عن الظالم يقتضي ثواب الله، والتوجيه الحجاجي هو الحث إلى العفو والصفح وتجنب الانتقام وترك محاسبة الظالم لله فهو يتولاه.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾ [الزُّخْرُف : 36]، أي من يعرض عن القرآن الكريم وعبادة الرحمان، نجعل له شيطانا ملازما له لا ينقطع عن وسوسته[1]، فجملة الشرط (يعش عن ذكر الرحمان) حجة ، وجملة جواب الشرط (نقيض له شيطانا فهو له قرين) نتيجة، فالتركيب الشرطي يتضمن علاقة اقتضاء مفادها أن الإعراض عن القرآن الكريم يقتضي الضلالة والبعد عن الطريق المستقيم، والتوجيه الحجاجي له هو الدعوة إلى التدبر في الدعوة القرآنية والتحذير من وسوسة الشياطين.

قوله تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾[فُصِّلَت:46]

هذا التركيب فيه جملتا شرط :الأولى (من عمل صالحا فلنفسه)، وجملة الشرط (عمل صالحا) حجة نتيجتها جملة جواب الشرط (فلنفسه) أي من عمل شيئا من الصالحات في الدنيا فإنما نفع نفسه، فعمل الخير يقتضي نيل الثواب من الله تعالى، وجملة الشرط الثانية (من أساء فعليها) قوله (أساء) حجة نتيجتها جملة جواب الشرط (فعليها) أي من أساء يرجع ضرره عليه، فعمل الشر يقتضي العقاب من الله تعالى، والتو جيه الحجاجي للملفوظين تأكيد أن الجزاء يوم القيامة يكون من جنس العمل ، وحث الرسول ﷺ على الصبر عن

[1] الصابوني :محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير مج3[157/25]

إعراض قومه، فهذا التركيب يبن الله من خلاله أن الإنسان هو المسؤول عن نوع الجزاء الذي يناله يوم الحساب وفي هذا تنبيه له ليجعله يراجع نفسه في الدنيا قبل فوات الأوان .

وقد استعملت (من) للدلالة على العاقل، والتوجيه الحجاجي لها غلب عليه الطابع الدعوي والتحذيري، بالإضافة إلى الحث والتشجيع الذي اقتضاه السياق لأن المخاطبين منكرين وجعلوا قلوبهم في أكنة وفي آذانهم وقرا .

4.6-عاملية الشرط (لو):

(لو) أداة شرط تستعمل فيما لا يتوقع حدوثه، وفيما يمتنع تحققه، أو فيما هو محال أو من قبيل المحال أي بعيد التحقق، والشرط بها إنما يعبر عن أمنية من الأماني أو على ما لا رجاء في تحققه ولا طمع في وقوعه، وهي للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجواب[1].

وتكون امتناعية وسمي حرف امتناع لامتناع، ومعناه امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط ، وقد تكون شرطية غير امتناعية، وإذا اتصل جوابها بلام التسويف تأخر جواب الشرط، وإن لم يتصل جوابها بلام التسويف دل ذلك على التعجيل، لأن الجواب يقع عقب الشرط مباشرة، ولام التسويف تأتي لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى، وهناك من قال أنها زائدة وحجتهم في ذلك جواز سقوطها، وقد استبعد الدكتور فاضل صالح السامرائي ذلك ودليله عدم صحة تقدير هذا في تعبيرات كثيرة وأورد كمثالا قوله تعالى: ﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ﴾ ، آل عمران آية 110، فليس في هذا تسويف[2].

وعند تتبعنا مواضع توظيف هذه العاملية في سور الحواميم وجدنا أنها وظفت تسع(9) مرات، وهو مايمثل نسبة 10,84% من نسبة عوامل الشرط ككل، وهي قليلة مقارنة بسابقاتها، والجدول التالي يوضح النتائج المتوصل إليها والتي تبين توزيع هذه العاملية بين السور:

---

(1) ينظر: محمود محمد حلوة، أسلوب الشرط في لزوميات أبي العلاء المعري،ص291 - 293

(2) ينظر: السامرائي :فاضل صالح السامرائي ، سابق ص89-95

السورة	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف	المجموع
العدد	1	2	2	3	0	0	1	8
النسبة	%11,11	%22,22	%22,22	%33,33	%0	%0	%11,11	%100

فالملاحظ من الجدول أن السور الأكثر توظيفا لهذه العاملية هي سورة الزخرف حيث وظفت (3) مرات وهو ما يمثل نسبة 33,33% من الشرط، والأقل توظيفا هي غافر والأحقاف بمعدل مرة واحدة وهو ما يمثل نسبة 12,5% من عاملية الشرط، و قد وظفت في الأمور التي لا طمع في تحققها وانعدمت تماما في الدخان والجاثية.

- نماذج تطبيقية:

- قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ﴾ [فُصِّلَت : 44]، بعدما ظهرت الحجة عليهم بدلالة القران على صدق الرسول ﷺ، انتقل إلى حجة أخرى هي أنه لو أنزلنا القران أعجميا وليس للرسول علم بتلك اللغة لاختلقوا أعذارا أخرى فقالوا لولا بينت آياته بلغة نفهمها فكيف تخاطبنا بكلام أعجمي[1]

فهذا التركيب الشرطي جملة الشرط فيه(جعلناه قرآنا أعجميا) حجة وجملة جواب الشرط(لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي...) وهي تركيب شرطي أيضا نتيجة فامتناع أن يكون القرآن أعجمي يمنع قولهم بتفصيل آياته والتوجيه الحجاجي هو تأكيد تعنت وجحود الكافرين للقرآن الكريم وتسلية الرسول ﷺ، وقد وظفت هنا لأنه لا طمع في أن يكون القرآن أعجميا .

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨﴾ [الشُّورَى : 8]، تبين الآية أن الله جعل الناس فريقين لحكمة، ولو شاء لجعلهم أهل دين واحد، أهل ضلالة أو أهل هدى ولكنه حكيم فيما يفعل، فجملة الشرط (شاء الله) حجة نتيجتها جملة جواب الشرط (لجعلهم أمة واحدة)، فامتناع مشيئة الله تقتضي امتناع

[1]بن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير[313,312/24]

جعلهم أمة واحدة والتوجيه الحجاجي تأكيد وجود العقاب والثواب والبعث والحساب، وتسلية الرسول ﷺ عن إعراض قومه له ووظفت لأنه لا طمع أن يكون الناس أمة واحدة، والشرط هنا استدلال بحكمة الله على البعث.

جاء في قوله تعالى:. ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠﴾ [الزُّخۡرُف : 20] أي قالوا على سبيل السخرية لو شاء الله ما عبدنا الملائكة والأصنام، وقد كذبهم بقوله(مالهم بذلك من علم) أي لا حجة لديهم، إن هم إلا يقولون على الله كذبا وزورا[1]. فجملة الشرط(شاء الرحمان) حجة نتيجتها جملة جواب الشرط(ما عبدناهم)، فقد علقوا عبادتهم للأصنام بمشيئة الله تعالى وهذا فسق كبير، أما التوجيه الحجاجي هو تأكيد افتراء الكافرين على الله تعالى، ووظفت (لو) لأنه هناك استحالة أن يشاء الله تعالى عبادة الأصنام لخلقه .

قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤﴾ [غَافِر : 14]

بعد ذكر الآيات وما أنزل لهم من رزق وما يتذكر ذلك إلا المؤمنون ، وأنتم منهم فادعوا الله مخلصين في كل حال حتى في حال كراهية الكافرين التي قد تكون سببا في صرفكم عن ذلك وهي كناية عن المقاومة، والفاء هي الفاء الفصيحة التي لا يستعملها إلا من كان بليغا– وبلاغة والقرآن لا مثيل لها – فجملة الشرط (كره الكافرون) حجة ، وجواب الشرط محذوف دل عليه مضمون الكلام السابق، وتقديره (اخلصوا في الدين)، والتوجيه الحجاجي الحث على التمسك بالدين والإخلاص فيه.

6-6- عاملية الشرط بـ(لولا):

(لولا) حرف شرط غير جازم، يفيد امتناع الجواب لوجود الشرط، أي امتناع لوجود، وهي مركبة من(لو) و(لا) الزائدة، ويليها دائما اسم مرفوع يعرب مبتدأ، ويقترن جوابها باللام كثيرا إذا كان ماضيا مثبتا، ويتجرد منها إذا كان منفيا.

[1] ينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير مج3[153,152/25]

وبعد تقصي مواضع توظيف هذه العاملية في سور الحواميم وجدناها تكررت ثمان (8) مرات، وهو ما يمثل نسبة9,63 % من نسبة العوامل الحجاجية ، وهي نسبة قليلة بالمقارنة مع العامليات الأخرى، والجدول التالي يبين توزيعها بين السور:

السورة	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف	المجموع
العدد	0	2	2	3	0	0	1	6
النسبة %	%0	%25	%25	%37,5	%0	%0	%12,5	%100

فالملاحظ من الجدول نلاحظ أن أكثر توظيف لهذه العاملية كان في سورة الزخرف حيث وظفت فيها ثلاث (3)مرات وهو ما يمثل نسبة 37,5% مثل نسبة 33,33%من النسبة الكلية وأقل توظيف كان في والأحقاف مرة واحدة بنسبة 12,5% ، وانعدم توظيفها في غافر والدخان والجاثية، وترجع قلة توظيفها إلى أن المقام يتطلب أدوات الشرط الأصلية التي يكون الشرط بها سببي أي هناك علاقة سببية بين حدثين لأن المقام مقام تحذير وعيد لمن لم يؤمن بالله وكتبه ورسته وبالبعث ويوم القيامة ، أو وعد بالثواب الحسن لمن آمن بذلك.

نماذج تطبيقية:

قال تعالى : ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ٤٥﴾ [فُصِّلَت : 45]

فجملة الشرط (كلمة سبقت من ربك)حجة نتيجتها جملة جواب الشرط (لقضي بينهم)، لولا أن الله حكم بتأخر الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة لعذبهم وأهلكهم في الدنيا[1]، فبعدما ضرب الله المثل بما لاقاه موسى من للنبي ﷺ ليخفف من حزنه بسبب إعراض قومه، بين له أنه لولا أن الحساب ما ترك لأجل مسمى لحكمت عليهم بما يستحقونه، والتوجيه الحجاجي تأكيد أن يوم القيامة هو يوم الفصل والحساب، والوعد بالنصرة للرسولﷺ وللمؤمنين.

[1] الصابوني، صفوة التفاسيرمج3[127/25]

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الشُّورَى : 21]، أي لولا حكم الله بتأجيل الثواب والعقاب ليوم القيامة لفصل بين المؤمنين والكافرين، فجملة الشرط (كلمة الفصل)حجة نتيجتها جملة جواب الشرط (لقضي بينهم) والتوجيه هو وعيد المشركين بعذاب يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزُّخْرُف : 33]، لولا حرف امتناع لوجود، أي حرف شرط دل امتناع وقوع جوابها لأجل وقوع شرطها، فيقتضي أن الله أراد امتناع وقوع أن يكون الناس أمة واحدة أي أراد الاحتراز من مضمون شرطها، لولا يصير الناس كلهم كفارا لخصصنا الكافرين بالمال والرفاهية ولتركنا المسلمين لما ادخرنا لهم من خيرات الآخرة[1].

والمقصود يعجل الكافرين بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله تعالى حسنة يجزيهم بها ولتكون الآخرة خالصة للمتقين لا يشاركهم فيها أحد[2].

فجملة الشرط (أن يكون الناس أمة واحدة) حجة، وجملة جواب الشرط(لجعلنا لمن يكفر بالرحمان لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون) نتيجة، فالمقصود إثبات حقارة الدنيا وقلة شأنها، والتوجيه الحجاجي هو الدعوة إلى عدم الاهتمام بزخرف الدنيا لأنه زائل والعمل من أجل الآخرة لأن نعيمها دائم.

7.6-عاملية (إمّا) أو (أمّا):

(إمّا) مكونة من (إن) الشرطية، وهي حرف شرط جازم مبني على السكون، و(ما) المزيدة مؤكدة لمعنى الشرط[3].

(1) محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير[204,203/5]
(2)القرشي: إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير ابن كثير، مكتبة الصفا ، القاهرة،ط1-2004، ص 164
(3) أحمد محمد البيك ،سابق،،ص61

وعند تقصي مواضع توظيف هذه الأداة، وجدنا أنها أقل الأدوات توظيفا، حيث وظفت ثلاث مرات بنسبة 3,61% من نسبة عاملية الشرط في ثلاث سور هي غافر، فصلت والزخرف، والجدول التالي يوضح ذلك:

السورة	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف	المجموع
العدد	1	1	0	0	0	1	0	3
النسبة%	%33,33	%33,33	%0	%0	%0	%33,33	%0	%99,99

فالملاحظ من الجدول أن هذه العاملية وظفت مرة واحدة في السور المذكورة سابقا، ومثل هذا العدد نسبة 33,33% من عاملية الشرط، ولعل ندرة استعماله ترجع إلى أنها مركبة من (إن) و(ما)، فوظفت الأداة(إن) لأنها الاولى كونها الأصل، والله اعلم، بينما انعد توظيفها في السور الشورى، الزخرف، الدخان والأحقاف.

نماذج تطبيقية:

قوله تعالى:، ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧﴾ [غَافِر : 77] أي أنهم واقعون في قبضة قدرتنا في الدنيا سواء أكان ذلك في حياتك مثل عذاب يوم بدر، أو بعد وفاتك مثل قتلهم يوم اليمامة، وأما عذاب الآخرة فذلك مقرر لهم بطريق الأولى، وقوله إما نرينك شرط اقترن حرف (إن) الشرطية بحرف ما الزائدة للتأكيد[1]، وقد قدم جواب الشرط على جملة الشرط للأهمية، فجملة الشرط (نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون)حجة وجملة جواب الشرط (فاصبر إن وعد الله حق) نتيجة والمعنى وقوع العذاب على الكافرين سواء في حياتك يا محمد أو بعد مماتك، أما التوجيه الحجاجي فهو تأكيد نصرة الله لرسله.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فُصِّلَت : 36]

[1] محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج208/24

أي إن سول لك الشيطان أن لا تعامل أعداءك بالحسنة وزين لك الانتقام فاستعذ بالله لأنه أعلم بهم وهو يتولى جزاءهم[1]، فجملة الشرط (ينزغنك من الشيطان نزغا) حجة وجملة جواب الشرط (فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) والتوجيه الحجاجي هو الحث على العفو والصفح عمن ظلمنا وترك أمره لله، فمقتضى هذا الملفوظ إن يغضبك الشيطان غضبا يصدك عن الإعراض عن الجاهل ويدفعك على الانتقام فاستجر يا محمد بالله من نزغه فهو الأدرى بما يبعد عنك هذا النزغ .

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾ [الجَاثِيَة : 30]

فجملة الشرط (الذين امنوا وعملوا الصالحات) حجة وجملة جواب الشرط (فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز العظيم) نتيجة، والتوجيه الحجاجي هو التنويه بمصير المؤمنين والحث على الإيمان بالله والامتثال لأوامره، فالإيمان بالله وعمل الصالحات يقتضي الفوز بالجنة.

وهناك ألفاظ تستعمل للكناية على أشخاص أو أشياء، أزمنة، أو أمكنة وغيرها في الأصل، لكنها تستعمل استعمال الأدوات في الشرط بتعليق الجواب علة الشرط، وهي كثيرة، نذكر منها[2]:

(**مهما**): أداة مركبة من(ما) الأولى و(ما) الزائدة ولما تلازمتا في الاستعمال، صارتا ككلمة واحدة، ثم قلبت ألف الأولى هاء فصارت مهما.

(أيْ): هي كناية عن العاقل وغيره، ولها استعمالات مختلفة، موصولة أو استفهامية، وصلا ...وتستعمل للشرط، وتصحبها ما الزائدة للنص على الشرطية، لأنها لا تتصل بها إلا في الشرط، كقوله تعالى:﴿ أيّاما تدعو فله الأسماء الحسنى﴾.

(أين): وهي كناية على المكان، تستعمل للاستفهام والشرط فقط، نحو قولنا (أين تجلس نجلس)، وربما اتصلت بها ما الزائدة لتخلص بها للشرط، نحو قوله تعالى:﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت﴾.

---

(1) محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ص 61

(2) ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه،ص291-295

(متى): كناية عن الزمان، لها استعمالان الاستفهام، وللشرط مثل قولك(متى تسافر أسافر).

(أيّان): معناها (أي حين) يقول ابن سيدة » أيان مثل متى ، فينبغي أن تكون شرطا»، مثل (أيان ما تعدل به الريح ينزل).

(كيف): هي كناية عن الحال، وتكون مقرونة بما الزائدة لتؤدي معنى الشرط، مثل (كيفنا تقعد أقعد)، ومجردة منا نحو(كيف تصنع أصنع)، ومثلها أنّى.

(حيثما): هي مركبة من حيث ما الزائدة، كناية على المكان، نحو حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا في غابر الأزمان.

لكننا لم نجدها في سور الحواميم.

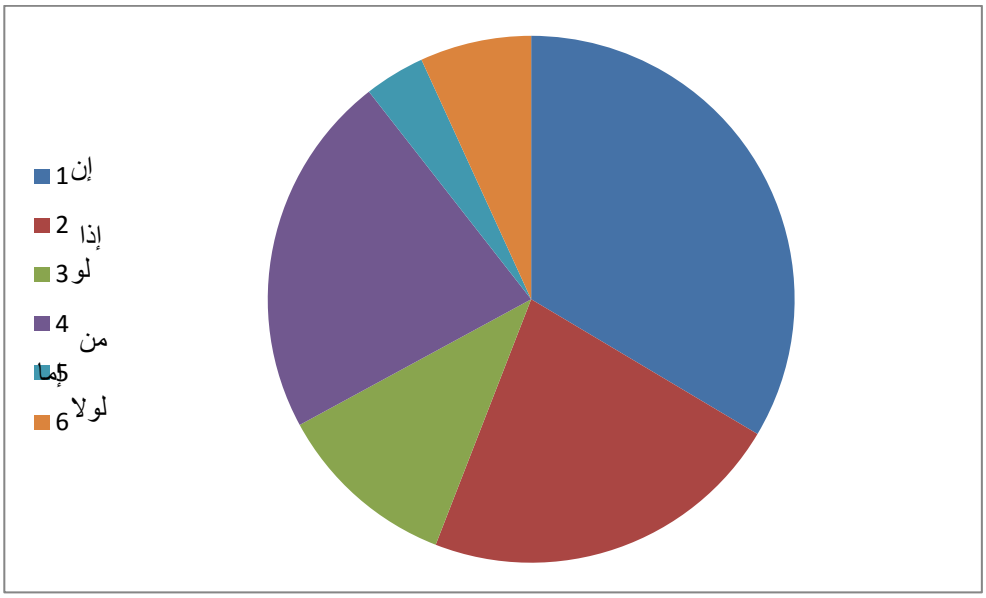

وما يمكن استنتاجه حول أسلوب الشرط في سور الحواميم هوأنه وظف في ثلاث وثمانين (83) موضعا، بنسبة 31,20 % من العوامل ككل، وقد وجدنا تنويعا في استعمال أدوات الشرط كعاملية حجاجية، وكل أداة وظفت حسب دلالتها وما اقتضاه السياق، وكان أكثر الأدوات توظيفا هي (إنْ) حيث تكررت سبعا وعشرين (27)مرة بنسبة 32,53%، و(إذا) تكررت ثمانية عشرة مرة(18) مرة بنسبة 21,68%، و(مَنْ) تكررت ثمانية عشرة(18) مرة بنسبة 21,68% ، بينما تكررت(لو)تسع مرات (9) مرات بنسبة 10,84%، و(لولا) ثمان (8) مرات بنسبة 9,63%، و(إمّا) ثلاث (3) مرات بنسبة 3,61% ، و هذه

الأدوات ناسبت الغرض العام للسور كوحدة متكاملة و خدمت المحور العام لكل سورة حسب ورودها فيها .

قد يحذف جواب الشرط أحيانا لغرض الترهيب وتهويل شدة فظاعة يوم القيامة ليعتبر أهل مكة المشركون والجاحدون لآيات الله، لعلهم يراجعون أنفسهم ويتراجعون عن اعتقاداتهم الفاسدة ويذعنون لما يُدعون إليه، فيؤمنون بالله وبالقرآن ويصدقون الرسول ﷺ ،كما استخدم للترغيب في الإيمان ببيان النعيم الذي ينتظر كل من آمن بالله والقرآن وصدق الرسل، لإغرائهم فيستجيبون إلى الرسول ويتخلون عن كفرهم، فكان في فعل الشرط تحفيزا، أو تنفيرا للوصول إلى النتيجة المقصودة.

يرد الملفوظ الشرطي كفاصلة بي مجموعة من الحجج، فمثلا الآية 37 من سورة فصلت، جاءت بعد ذكر حجج دالة على تفرد الله بالألوهية والخلق والتدبير دون غيره، ثم استدل بعها على البعث بحجة إحياء الأرض بعد موتها ليزيد في الإقناع.

يرد الملفوظ الشرطي كجواب عما جاء في أول السورة، كقوله تعالى في سورة غافر:﴿ فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾ الآية78،هو رد على ما جاء في أولها﴿ما يجادل بآيات الله إلا الذين كفروا﴾ ، أي خسر الذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق. وكذلك قوله في سورة فصلت :﴿ و لو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ﴾ رد على ما جاء في أولها قوله تعالى:﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾الآية 3.

وكذلك قوله في سورة فصلت :﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ الآية 12، فبعد عرض حجج تفرد الله بالإلاهية وبخلق الكون، وبيان كل ما من شأنه أن يجعلهم يصدقون الرسول ويؤمنون بالقرآن، ويقلعوا عن الإعراض الذي ذكر في أول السورة في قوله تعالى:﴿فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾، فإن استمروا في الإعراض فسيكون مصيرهم كمصير قوم عاد وثمود.

أما عن نتائج الحجج الواردة فكان أغلبها إثبات وتأكيد لوحدانية الله وصدق القرآن وأن مصدره الله، إلى جانب تقرير جهالة المشركين وخسرانهم وإبطال معتقداتهم، واستحقاقهم عذاب، وإبراز تعنتهم وإصرارهم على الشرك.

وخلاصة ما يمكن قوله في عاملية الشرط، هو أن الشرط عامل حجاجي لما يمتلكه من قيمة وقوة حجاجية، فيحصر الامكانات الممكنة في إمكان واحد يجعل المتلقي يذعن للقضية المطروحة عليه من قبل االمخاطب، فعامل الشرط الحجاجي يجسد علاقة الاقتضاء الحجاجي بين جزأي أسلوب الشرط، وعملت هذه العاملية على إبراز الوظيفة الحجاجية للغة في سور الحواميم.

الفصل الرابع : عاملية القصر في سور الحواميم من القرآن الكريم

أولا :القصر المفهوم –الأساليب –الأنواع

1- القصر لغة

2- القصر اصطلاحا

3- أساليب القصر

4- أنواع القصر

ثانيا : حجاجية القصر في سور الحواميم من القرآن الكريم.

الخطاب هو منتوج لفظي ،تتفاعل فيه عدة مكونات ،ليؤدي وظيفته التواصلية ،وهذا ما يتوفر عليه الخطاب الحجاجي أيضا، الذي يعمد إلى توظيف ،آليات وعوامل حجاجية ،قصد استمالة المتلقي وإقناعه بوجهة نظر مخصوصة ،ومن العوامل الحجاجية التي يوظفها الخطاب الحجاجي ؛القصر الذي يعتبر توظيفه في الخطاب حجة ، تؤدي إلى نتيجة معينة ،وينتج عنه توجيها حجاجيا خاصا حسب السياق الموظف فيه ،وفيما يأتي من البحث سنبين ،مواضع القصر في سور الحواميم ؛ووظيفته الحجاجية في هذه السور من القرآن الكريم.

أولا :القصر :المفهوم ـ الأساليب ـ الأنواع

يعتبر القصر أسلوبا خبريا ،له دلالته، ومكانته الكبرى في اللغة العربية ، إذ يستعمل في التواصل، وقد حظي القصر بدراسة علماء اللغة ؛وعلماء البلاغة على حد سواء .

1- **القصر لغة:** جاء في لسان العرب قَصَرَ: «القَصَر والقصَر في كل شيء خلاف الطول ،أنشد ابن الأعرابي: «عادت محورته إلى قصر، قال: معناه إلى قصر»، وهما لغتان وقصر الشيء يقصر قصرا، خلاف طال، وقصرت من الصلاة قصر قصرا والقصير خلاف الطويل، وفي حديث أن أعرابيا جاءه فقال: «علمني عملا يدخلني الجنة، فقال: «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة» أي جئت بالخطبة قصيرة وبالمسألة عريضة يعني قللت الخطبة وأعظمت المسألة»، وقد قصر قصرا وقصارة فهو قصير والجمع قصراء وقصارة، والأنثى قصيرة والجمع قصار، وقصرته تقصيرا إذا صيرته».

وقالوا: «لا وفائت نفسي القصير، يعنون النفس لقصر وقعه»، والفائت هنا هو الله عز وجل.

والأقاصر جمع أقصر مثل أصغر وأصاغر»[1].

القصر الغاية، وهو القصار والقصارى والقصر كفك نفسك عن شيء ،وقصرت نفسي على كذا أقصرها قصرا، وقصرت طرفي أي لم أرفعه إلى ما لا ينبغي، وقاصر الطرف قريب من الخاشعَ .

وقاصرات الطرف في القرآن أي قصرن طرفهن على أزواجهن لا يرفعن إلى غيرهم ولا يردن بدلا ،وقصرت عن هذا الأمر أقصر قصورا وقصرا وأقصرت عنه أي كففت.

والقصر: «التحبس، يقال قصرت اللقحة على فرسي إذا جعلت لبنها له لا لغيره»[2].

من خلال التعريف اللغوي للقصر، يمكن أن نعرف القصر على أنه عكس الطول، وهو أن تكف نفسك عن الشيء فلا تتجاوزه إلى غيره. وهو نفي أمر للشيء وإثباته لغيره.

---

(1) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ،لسان العرب ،نشر أدب الجيزة (ايران) 1405هـ مج5/95-96 مادة قصر

(2) اسماعيل سيبوكر، أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية، إشراف أحمد جلايلي ،أطروحة دكتوراه ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر) ،2014/2013 ص 7

2-**القصر اصطلاحا:** إن المعنى الاصطلاحي ل(الحصر والقصر والاختصاص) واحد ،وإن للمعنى اللغوي علاقة وثيقة بالمعنى الاصطلاحي ،فالقصر أو الحصر في اللغة : «الحبس والمنع ،وفصرت الشيء على كذا، إذا لم تجاوز به غيره ،والاختصاص في اللغة ؛الانفراد بالشيء دون غيره[1]».

القصر: «هو تخصيص شيء بشيء وحصره فيه ،ويسمى الأمر الأول مقصور والثاني مقصورا عليه ،كقولنا في القصر بين المبتدأ والخبر: انما زيد قائم وبين الفعل والفاعل نحو ما ضربت إلا زيدا[2]».

ويعرف السكاكي القصر بقوله: «وحاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك :زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده شاعرا أو منجما»[3].

كما عرف القصر الأستاذ الدكتور لزهر كرشو بقوله :

«والقصر أسلوب حجاجي بامتياز ،كونه وليد نقاش قابل للاعتراض والدحض وكونه يتجاوز المستوى الاعلامي والاخباري إلى المستوى التوجيهي القصدي للمخاطب عن طريق إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره[4]».

3- **أساليب(طرق) القصر** :لأسلوب القصر طرق كثيرة تتمثل في ما يلي :

3-1-**أسلوب النفي والاستثناء** :

3-2- **عاملية إنما** :

3-3-**طريق العطف (لا ،بل ،لكن):** أفاد علماء البيان أن العطف بلا ؛بل ؛لكن يفيد القصر بالمنطوق وذلك بشروط :

- تأتي لنفي الحكم الثابت لما قبلها عما بعدها ؛لذلك لا يعطف بها إلا بعد الاثبات كقولك :جاءني زيد لا عمرو[5].

---

[1] اسماعيل سيبوكر، أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية ، ص 7

[2] الشريف الجرجاني ،التعريفات ص 183

[3] السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ،مفتاح العلوم،ت نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)،ط2 ، (1407هـ /1987م)ص288

[4] لزهر كرشو، تقانة التحليل الحجاجي للخطاب ص 77

[5] اسماعيل سيبوكر، أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية، ص12

- بل يشترط فيها أن يتقدمها نفي فتكون لتقرير ما قبلها على حالته وجعل ضده لما بعدها ؛ويشترط في (لكن) أن يتقدمها النفي أو النهي.

3-4- **تقديم المعمول على العامل** : يتفق أكثر البلاغيين على أن تقديم المعمول على العامل يفيد القصر ،سواء كان مفعولا أو جارا ومجرورا أو الا....،ولذلك قيل في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَةِ:5] أن معناه أخصك بالعبادة والاستعانة لا لغيرك([1]).

3-5- **تقديم المسند إليه في الجملة الفعلية** :فيؤكد العلماء أن تقديم المسند إليه في الجملة الفعلية ؛ يفيد القصر إذا توفرت أربعة شروط :

- أن يكون المسند إليه معرفة والمسند مثبتا فيأتي التخصيص مثل قوله تعالى :

﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۝٣٦﴾ [النَّمْل 36] فالآية تدل على إبراز فرح القوم بهديتهم لا سليمان عليه السلام([2]).

- أن يكون المسند منفيا نحو قوله تعالى:

﴿يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ۝٦٦﴾ [القَصَص : 66] ،فالآية تفيد التخصيص.

- أن يكون المسند إليه نكرة مثبتا ؛فمثلا «جاءني عمر» يفيد التخصيص إما للجنس أي لا فضيلة ، أو الوحدة أي لا عمر وسعيد([3]).

- أن يتقدم المسند إليه بحرف نفي كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هُود : 91]

3-6- **تقديم المسند على المسند إليه في الجملة الاسمية** : يرى بعض البلاغيين تقديم المسند على المسند إليه يفيد التخصيص[4].

3-7- **ذكر المسند إليه** :بين البلاغيون أن ذكر المسند إليه يفيد الاختصاص[5] وأعطوا مثالا على قوله تعالى : ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزُّمَر : 23]

3-8- **تعريف المسند والمسند إليه:** يفيد تعريف المسند والمسند إليه القصر ،وذلك بتخصيص الأول بالثاني ،وهو يفيد القصر حقيقة أو مبالغة[6].

(1)اسماعيل سيبوكر ،أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية ، ص 12
([2])نفسه ص13
([3]) نفسه، ص 13
[4] نفسه، ص 13
[5] نفسه ،ص 13
[6] نفسه ،ص 14

3-9- القصر بضمير الفصل

3-10-القصر ب(أنما) المفتوحة المشددة: ذكر التنوخي (أنما) تلحق ب (إنما) فإنما هي فرع من الأصل وهذا ما يظهر في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأَنبِيَاء : 108] وهذا ما ذهب إليه الزمخشري والبيضوي[1].

3-11- قلب بعض حروف الكلمة: مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾[الزُّمَر:17] فلقد وقع القلب في (الطاغوت) التي أصلها الطغيان وذلك لإفادة التخصيص[2].

3-12- عاملية القصر ب(الـ) الموصولية.

وقد اختصر السكاكي طرق القصر في أربعة أقسام[3]:

1- **طريق العطف:** ويشتمل على قصر الصفة على الموصوف مثل زيد شاعر لا منجم ؛افرادا أو قلبا حسب مقام السامع ويشترط؛ أن يكون منفيا فنجعل النفي عاما وهو لا يمكن أن يشاركه غيره في الوصف ،وقصر الموصوف وهنا لا يمكن أن يكون الوصف لغير الموصوف.

2-**النفي والاستثناء :**

3-**التقديم:** وذلك كما في قصر الموصوف على الصفة : تميمي أنا ، لمن يرددك بين قيس وتميم ،أو لمن ينفيك عن تميم ويلحقك بقيس[4].

4-**استعمال (إنما)**

وهذه الطرق تتفق من وجه؛ وهو إن المخاطب معها يلزم أن يكون حاكما حكما مشوبا بصواب وخطأ ،حيث يقول السكاكي: «فالطرق الأول الثلاث ،دلالتها على التخصيص بوساطة الوضع ،وجزم العقل ،ودلالة التقديم عليه وساطة الفحوى وحكم الذوق »[5].

هناك طرق كثيرة للقصر، لكن الطرق الأكثر استعمالا في اللغة العربية هي : النفي والاستثناء، و(إنما) والقصر بضمير الفصل ،والقصر بطريق العطف ،والقصر بالتقديم والتأخير.

---

(1)اسماعيل سيبوكر ،أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية ،ص16

(2) نفسه ص16

(3)السكاكي: أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ،ص 289

(4)نفسه،ص292

(5) نفسه ، ص292

4. أقسام القصر وأنواعه :

قسم البلاغيون القصر إلى الأنواع التالية :

4-1 القصر الحقيقي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع لا يتعداه إلى غيره أصلا : ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأَنْعَام : 59] ،فالقصر جاء هنا بوجهين، التركيب الأول تقديم ما حقه التأخير، في قوله تعالى ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأَنْعَام : 59] فقد خص علم مفاتح الغيب لله وحده دون غيره ثم أكد على ذلك بحرف النفي لا لينفي العلم عن غيره أثبته لذاته (إلا) وذكر بعدها الضمير[1].

والقصر الحقيقي يقسم إلى قسمين :

4-1-1 –القصر الحقيقي التحقيقي: هو ما كان فيه المنفي عاما ،والمقصور يختص بالمقصور عليه لا يتعداه إلى غيره في الواقع مثل قوله تعالى : ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأَنْعَام : 47] ،فقد خص الله تعالى الهلاك والغضب والانتقام على الظالمين[2].

4-1-2–القصر الحقيقي الادعائي : وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره على سبيل المبالغة ،فالمقصور يختص بالمقصور عليه فينفي عن كل ما عداه ،وهو اثبات صفة لموصوف دون غيره بالرغم من أن غيره قد يكون حاملا لتلك الصفة ولكن المخصوص بالذكر هو المقصود[3].

4-2–القصر الاضافي :وهو تخصيص الشيء بآخر على أنه لا يتجاوزه إلى بعض ما عداه فهو معنى مجازي للتخصيص ،غير مناف للاشتراك ،ولذلك يحتاج في فهمه من لفظ التخصيص إلى قرينة ويسمى غير حقيقي[4].

وينقسم القصر الإضافي إلى :

---

(1) اسماعيل سيبوكر ،أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية، ص19

(2) نفسه، ص22

(3)نفسه ،ص 20

(4)اسماعيل سيبوكر ،أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية،ص20

4-2-1-قصر الإفراد: وهو ما يعتقد بثبوت الحكم ،يعرفه السكاكي بقوله : «وحاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان كقولك زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده شاعرا ومنجما»[1].

4-2-2- قصر القلب: هو أن يعتقد نفي ما أثبته الحكم ويثبت ما نفاه ،وعرفه السكاكي بقوله :«وهو تخصيص أمر بأمر مكان آخر ،بمعنى المتكلم يقلب فيه حكم السامع أو إلى تخصيص الوصف بموصوف قصر إفراد كقولك :ما من شاعر إلا زيد لمن يعتقد زيد شاعر ،لكن يدعى شاعرا آخر»[2].

4-2-3- قصر التعيين: هو أن يكون تردد بين الإثبات والنفي ،وهو تخصيص أمر بأمر دون آخر ويخاطب به المتردد بين شيئين[3].

من خلال هذه الأقسام نقول أن القصر قسمان : القسم الأول هو القصر الحقيقي وينقسم إلى حقيقي تحقيقي وحقيقي ادعائي ،والقسم الثاني هو القصر الإضافي وينقسم إلى :قصر إفراد ، قصر قلب ، وقصر تعيين.

ويتكون القصر من ركنين هما المقصور والمقصور عليه.

5-الفرق بين القصر بالنفي والاستثناء والقصر ب(إنما): وفي هذا يقول عبد القاهر الجرجاني: «اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء بخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، أي عندما تقول: «إنما هو أخوك» أو «إنما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك، ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويقر به، إلا أنك تريد أن تنبه للذي يجب عليه حق الأخ، وحرمة الصاحب»[4]

أما الخبر بالنفي والإثبات نحو: «ما هذا إلا كذا.» و« إن هو إلا كذا» ،فيكون لأمر المخاطب ويشك فيه ،فإذا قلت :« ما هو إلا مصيب» أو «ما هو إلا مخطئ » ،قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلت.»[5]

---

(1) لسكاكي :أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ،ص288

(2) نفسه ،ص 288

(3) اسماعيل سيبوكر ،أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية ص24

(4) الجرجاني :عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص 330

(5) اسماعيل سيبوكر ،أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية ص 333

ثانيا :حجاجية عاملية القصر في سور الحواميم

سنرصد في هذا العنصر من البحث مواضع القصر في سور الحواميم ، وذلك حسب أدوات القصر التي اقتصرنا على استنباطها في هذه السور وهي: عاملية النفي والاستثناء، وضمير الفصل، وعاملية (إنما)، و(الـ) الموصولية، وقد استثنينا التقديم والتأخير مع أنه من أصول القصر في اللغة العربية ، وذلك على اعتبار التقديم والتأخير هو آلية وليس عاملية لغوية (أداة لغوية)، وقد وظف القصر في ثمانين موضعا (80) في سور الحواميم ، وهو ما يمثل نسبة 30.07 ٪ من العوامل الحجاجية الأخرى (النفي، الشرط)، وهي أقل نسبة من حيث التوظيف مقارنة بالعوامل الحجاجية المدروسة في بحثنا، وذلك ربما لكون سور الحواميم تهدف إلى تغيير معتقدات والدعوة إلى الإيمان، فوظف الله هذه العاملية في مواضع الجدال ومحاججة المشركين المشككين في وحدانية الله، وذلك في تخصيص الله بالوحدانية، وإثبات نبوة الرسول محمد ﷺ وصدق رسالته، وذلك بنفي مزاعم المشركين، وإثبات مغالطتهم، وإثبات أحقية الله وحده بالعبادة وصدق معجزة القرآن، ومصدره، وهو ما يناسب عاملية القصر بنفي الشيء للشيء وإثباته لغيره. وقد وزع القصر في سور الحواميم حسب الجدول التالي:

السور	النفي والاستثناء	ضمير الفصل	إنــما	(الـ)الموصولية	مجموع العوامل في السورة	نسبة العوامل في السورة
غافر	12	6	1	4	23	٪28.75
فصلت	5	3	1	2	11	٪12.75
الشورى	4	4	1	1	10	٪12.5
الزخرف	8	1	0	1	10	٪12.5
الدخان	5	3	1	0	9	٪11.25

الجاثية	6	1	0	1	8	٪10
الأحقاف	8	0	1	1	10	٪ 12.5
المجموع	48	17	5	10	80	
النسبة	٪60	٪21.25	٪6.25	٪12.5		٪98

في ما يلي، سنطبق على عاملية القصر، ونحاول الكشف عن حجاجيتها في سور الحواميم من القرآن الكريم، وذلك حسب الأداة، إذ سنبدأ التطبيق بتعريف الأداة، وعددها في سور الحواميم، واستنباط النتيجة الحجاجية، والتوجيه الحجاجي لها، وسنعرض نماذج تطبيقية، تم اختيارها حسب المعايير التالية :

- كثرة توظيف الأداة أو نذرة توظيفها .
- خروج التوجيه الحجاجي للعاملية عن التوجيه العام لسور الحواميم .
- الأكثر خدمة للغرض العام لسور الحواميم.

1- حجاجية النفي والاستثناء في سور الحواميم:

وهو اثبات حكم للمذكور ونفيه عما عداه فالقصر بالنفي والاستثناء هو تخصيص أمر بأمر ونفيه عما سواه أي مخرج ومخرج منه، أي عام وخاص[1]. ويكون في الأمر الذي ينكره المخاطب، أو يشكك فيه . ويعرف السكاكي النفي والاستثناء بقوله : «وذلك كقولنا: ليس زيد إلا شاعرا، أو: ما زيد إلا شاعرا »، ومثال قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عِمْرَان : 144]، فمعناه محمد مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك»[2].

فقد وظف القصر بالنفي والاستثناء ثمانية وأربعين مرة(48) في سور الحواميم بنسبة قدرها 60٪ عن الصرافم الأخرى وهو ما يناسب السور المكية المتزامنة مع بداية الدعوة إلى

(1) اسماعيل سيبوكر ،أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية ص10
(2) السكاكي : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم ،ص 289

عبادة الله وحده، والمحاججة في أمور ينكرها المخاطب ويشكك فيها، لذلك كانت الغلبة للنفي والاستثناء الذي يعتمد في مثل هذه المواضع، والذي سجلناه في كل سور الحواميم.

ويمكن أن نسجل توزيع هذه العاملية في سور الحواميم حسب الجدول التالي:

السور	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف
تكرار النفي والاستثناء	12	5	4	8	5	6	8
النسبة	٪25	٪10.41	٪ 8.33	٪16.66	٪10.41	٪12.5	٪16.66

من خلال الجدول نلاحظ أعلى نسبة للنفي والاستثناء في سورة غافر ، في اثنى عشرة (12) موضعا بنسبة قدرها 25٪ ،وذلك قد يعود إلى مناسبة القصر بالنفي والاستثناء للغرض الأساس للسورة وهو بيان جدال الكافرين، إذ يكاد أن يحصر موضوع السورة في تصوير المعركة بين الإيمان والكفر، والحق والباطل[1] ،فكان من الضروري محاججتهم بما

ينفي مزاعمهم من الشرك وتكذيب دعوة النبي ﷺ ،ومصدر القرآن الكريم، وإثبات أحقية الله وحده بالعبادة، والتصديق بأن القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز، الذي أنزله على سيدنا محمد ﷺ ، وهي أمور ومعتقدات تنكرها قريش وتشكك في صدق رسالة النبي ﷺ ،خاصة وأن السور المكية تمثل مرحلة التأسيس والبداية للدعوة الإسلامية في ذلك الوقت ،وهو ما تتميز به سور الحواميم، لذلك كان من الضروري محاججتهم بما يناسب حالهم وهو القصر بالنفي والاستثناء الذي يوظفه العرب عندما يكون المخاطَب ينكر أو يشكك في الأمر الذي يعرضه المخاطب، ويدفع صحته .

كما تماثلت سورتا الزخرف والدخان في توظيف عاملية القصر بالنفي والاستثناء بثمان (8) مواضع بنسبة قدرها 16.16٪ ،وكذلك سورتا فصلت والدخان بخمس (5) مواضع للنفي والاستثناء في كل منهما ، وبنسبة قدرت ب10.41٪ .

(1) الصابوني : محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم، ج 84/3

في حين سجلنا أقل توظيف للقصر بطريق النفي والاستثناء، في سورة الشورى بأربع (4) مواضع بنسبة 8.33 ٪، وربما يعود نقص توظيف النفي والاستثناء في السورة ،لكون المحور الأساس للسورة هو إثبات الوحي والرسالة[1]، وهما أمران لا ينكرهما المخاطَب ولا يشكك فيهما، فكفار قريش لا ينكرون وجود الوحي، وأن الله أوحى إلى الأنبياء والمرسلين، في الأمم السابقة ،إنما هم ينكرون رسالة الرسول محمد ﷺ، وينكرون مصدر القرآن أن يكون منزل من عند الله عز وجل ،لذلك لم يكن من الضروري محاججتهم بالقصر والاستثناء الذي لا توافق خاصيته حال المخاطَب، إذ توظف هذه العاملية في حال كون المخاطَب ينكر أو يشكك في الأمر الذي يعرضه المخاطب، وهو في سورة الشورى لا يناسب حال المخاطبين، ولا يخدم الغرض الأساس لسورة الشورى.

وقد كان التوجيه الحجاجي لعاملية النفي والاستثناء في سور الحواميم، يغلب عليه الجانب الدعوي، وهو ما يخدم الغرض العام في الحواميم المتمثل في الدعوة إلى عبادة الله وحده وإثبات صدق نبوة الرسول ﷺ، ومصدر القرآن الكريم الذي هو حجة الله في الكون ،ومعجزة الرسول محمد ﷺ لقومه.

نماذج تطبيقية لـ عاملية القصر بطريق النفي والاستثناء في سور الحواميم:

- في قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٤﴾ [غَافِر: 4] ،في هذه الآية حجة القصر بالنفي والاستثناء ،حيث قصر إدحاض الحق وإطفاء نور الله بالكفر ،على المجادلين في آيات الله ، والمراد الجدال بالباطل من الطغيان فيها ،ونفيه عن المؤمنين[2]،لأن المؤمنين لا يجادلون في آيات الله؛ والقصر حجة ،نتيجتها :بيان أن الجدل في آيات الله كفر، والتوجيه الحجاجي في هذه الآية ،التحذير من الجدال في آيات الله ؛والدعوة إلى التوحيد.
- قال تعالى: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤﴾ [فُصِّلَت : 14]،فقد جاء الله عز وجل بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ،حيث أثبتت العبادة لله وحده ؛ونفيت عن غيره ، أي أن الله المنفرد بالإلهية

(1) الصابوني :محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم، ص 121

(2) ينظر: الزمخشري :أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،ص329

؛ لأنه المنفرد بإيجاد العوالم[1]، والقصر بالنفي والاستثناء حجة ،نتيجتها بيان مجادلة المشركين ،أما التوجيه الحجاجي فهو تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم ،قومه من عاقبة الشرك بالله ، والدعوة إلى التوحيد وعدم الشرك بالله .

- وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾ [الجَاثِيَة: 24]، في هذه الآية تكرر القصر بالنفي والاستثناء ثلاث مرات ، فقد قصر الحياة في الحياة الدنيا؛ ونفي البعث بعد الموت، وقصر الهلاك على الدهر، وقصر علمهم على الظن، وهي ثلاث حجج، مؤدية إلى نتيجة مفادها بيان حجاج المشركين القائم على المغالطة؛ والتوجيه الحجاجي الدعوة إلى الإيمان بالله المدبر للعوالم ،والإيمان بالبعث.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩﴾ [الأَحْقَاف: 9]، وهذا رد النبي ﷺ على قومه بعد إنكار رسالته ، والمعاندة في الدين والمعتقدات الجديدة ،التي يدعوهم إليها؛ أي لا أتبع إلا الوحي الذي ينزله الله تعالى علي، ولست مبتدعا شيء من عندي[2]؛لأن الكفار اتهموا الرسول ﷺ ؛ بالافتراء والسحر وغيرها من التهم التي لا صحة لها ، لذلك حاججهم الرسول ﷺ ،بقول الله تعالى في هذه الآية ؛وبتوظيف عاملية القصر: وأنه لا يتبع هواه بل هو وحي من عند الله تعالى، وأن الرسول ﷺ لا يعلم مصير قومه ، لكن الله عز وجل أرسله لينذر قومه، وهي حجة ،نتيجتها بيان صدق النبي صلى الله عليه وسلم ،في دعوته لقومه ،أما التوجيه الحجاجي الدعوة إلى الإيمان بأن القرآن الكريم، هو كتاب الله الذي نزله على سيدنا محمد ﷺ.

بعد تقصي مواضع النفي والاستثناء في سور الحواميم، لاحظنا ورود هذه العاملية في كل السور، إذ حازت على أعلى نسبة (60٪)، وذلك يعود لطبيعة المتلقي للخطاب القرآني في هذه السور وهم قريش، الذين أنكروا دعوة النبي ﷺ ، وشككوا في رسالته، وأعرضوا عن

[1] ينظر: بن عاشور :محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير ،ج24 /252
[2] ينظر الصابوني :محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسير تفسير للقرآن الكريم ، ج 3./180

الإيمان بالله، وأشركوا به ما ليس لهم به علم ،من الأصنام والأوثان، وكذبوا رسالة النبي ﷺ، وشككوا في وجود البعث، فخاطبهم الله بالأصل من أساليب القصر في لغتهم، والذي يناسب إعراضهم، فنفى عز وجل مزاعمهم وعرض سبب كفرهم، وأثبت وحدانيته، كما أنه كانت الغلبة للجانب الدعوي في هذه العاملية، وذلك لخدمة أغراض سور الحواميم الداعية إلى الإيمان بالله وحده، وبرسالة محمد ﷺ ، وبأن القرآن هو الوحي الذي أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ، وأنه معجزة النبي ﷺ، وبيان مصير المشركين والمؤمنين.

2- حجاجية القصر بضمير الفصل في سور الحواميم:

يعتبر علماء البيان في باب المسند أنه إذا عطف المسند إليه بضمير الفصل أفاد التخصيص نحو قولنا: زيد هو القائم ،فضمير الفصل هنا خصص القيام لزيد لا لغيره ؛ويشترط في ضمير الفصل ؛توفر الشروط التالية([1]):

1-أن يكون ما قبله مبتدأ ولو منسوخا.

2- أن يكون معرفة ، وقيل يجوز «ما ظننت أحدا هو القائم» .

3- أن يكون ما بعده خبرا ولو منسوخا .

4-أن يكون معرفة أو كالمعرفة في أنه لا يقبل (ال) .

5-أن يكون بصيغة المرفوع فيمتنع «زيد إياه الفاضل».

6-أن يطابق ما قبله ، فيمتنع «كنت هو ».

بعد تقصي عاملية القصر بضمير الفصل في سور الحواميم ،رصدنا هذه العاملية في سبعة عشرة موضعا(17)،بنسبة قدرها21.25٪ ،وهي موزعة حسب الجدول التالي:

السور	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف
عدد ضمير الفصل	6	3	3	1	3	1	0

(1) اسماعيل سيبوكر ،أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية، ص16

النسبة	٪35.29	٪17.64	٪17.64	٪5.88	٪17.64	٪5.88	٪0

من خلال الجدول يتضح لنا ورود عاملية القصر بضمير الفصل ،في سبعة عشرة (17) موضعا ،بنسبة قدرها 21.25٪ من مجموع عوامل القصر في سور الحواميم.

وقد سجلنا أكثر توظيفا لهذه العاملية الحجاجية في سورة غافر، حيث سجلنا ست (6) مواضع لضمير الفصل، بنسبة 35.29٪، وذلك لما تتميز به هذه السورة من المجادلة، والدعوة إلى التوحيد الملزمة إلى عرض صفات الله، الدالة على قدرة الله وحده على الخلق والتصرف في الأكوان ،والعوالم العليا والدنيا، وهو ما يناسب ضمير الفصل الذي يفيد تخصيص الصفة على الموصوف وحده دون أن يشاركه فيها غيره ،فخدم ضمير الفصل هذا الغرض الداعي إلى الإيمان بأحقية الله وحده بالعبادة ، وتجنب الشرك بالله المؤدي إلى الهلاك، وكذلك في عرض صفات الله الخاصة الدالة على الوحدانية.

كما سجلت سور فصلت والشورى والدخان بثلاث (3) ضمائر فصل في كل منها ،نسبة 17.64٪ ؛والزخرف والجاثية ، بعاملية واحدة (1) في كل سورة منها ، بنسبة 5.88٪.

كما سجلنا غياب توظيف لعاملية القصر بضمير الفصل في سورة الأحقاف، بنسبة 0٪ ،من حجة ضمير الفصل في سور الحواميم، فالموضوع الأساس الذي تناولته سورة الأحقاف، يدور حول الرسالة والوحي، لإثبات صحة رسالة محمد ﷺ وصدق القرآن الكريم[1] الذي يمثل معجزة النبي ﷺ، وهذه المواضيع لا تستدعي التخصيص، فالرسالة ليست مقصورة على النبي محمد ﷺ، فقد أرسل الله عز وجل رسلا وأنبياء قبله، كسيدنا إبراهيم ، وعيسى وموسى ويونس ... ،وكتبا سماوية قبل القرآن الكريم، كالتوراة والإنجيل....، لذلك فإن ضمير الفصل في هذه السورة لا يخدم الغرض العام، فلم يهتم عز وجل بالمحجاجة به فيها.

(1) ينظر محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ص،177

2-1- نماذج تطبيقية عن حجاجية ضمير الفصل في سور الحواميم

-قال تعالى : ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غَافِر : 8] ،فقد أثبتت العزة والحكمة لله ، ونفيها عمن سواه ،بتوظيف ضمير الفصل (أنت) ،والمقصود ؛أنت وحدك الملك الذي لا يغلب ،وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيئا إلا بداعي الحكمة[1]؛ فقد مثلت هذه الآية حجة لنتيجة مفادها :إثبات العزة والحكمة المطلقة لله وحده ،والتوجيه الحجاجي :الدعوة إلى طلب الغفران والرحمة والعتق من النار، من الله وحده .

-وفي قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فُصِّلَت : 26] ،فتوسيط ضمير الفصل (هو) في هذه الآية ، أفاد القصر، فقد أثبت السمع المطلق ،والبصر المطلق لله وحده ،ونفيه عن آلهتهم التي لا تستطيع السمع أو الإبصار، كما تبين هذه الآية أنه؛ على المؤمن أن يتحصن من الله وحده من كيد شياطين الإنس والجن، فكان توظيف القصر بضمير الفصل في هذه الآية ،حجة من الله عز وجل ،مؤدية إلى نتيجة مفادها :بيان قدرة الله وعظمته ، وكان التوجيه الحجاجي لتوظيف حجة القصر بتوسيط ضمير الفصل في هذه الآية، هو : الدعوة إلى التوحيد ، وإلى التحصن بالله وحده من كيد الشياطين.

-وفي قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [الشُّورَى : 9]، ففي هذه الآية قصر بضمير الفصل ،فقصر صفة الولاية لله وحده، وكذلك قصر صفة الإحياء بعد الإماتة (البعث) على الله وحده دون غيره، وقصر القدرة المطلقة على الله وحده، وتوسيط ضمير الفصل حجة ،نتيجتها نفي الألوهية عن الشركاء الذين يعبدهم الكفار، أما التوجيه الحجاجي لهذه الآية هو تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين، ونفي الألوهية والقدرة على التصرف في الأكوان على أصنامهم.

-وفي قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدُّخَان : 57] .

(1) الزمخشري :أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التآويل، ص 333

أتى في هذه الآية، تخصيص الفوز بالفضل، المشار إليه، وهو قصر لإفادة معنى الكمال[1] كأنه لا فوز غيره، وتوظيف ضمير الفصل في هذه الآية حجة، أما النتيجة الحجاجية لهذه الآية، بيان مصير المؤمنين، وكان التوجيه الحجاجي: بشرى للمؤمنين والدعوة إلى الإيمان بالله وحده .

من خلال هذه الآيات يظهر لنا أن عاملية القصر بضمير الفصل، كانت حجة، لبيان وجود الإله الواحد، وقدرته وحده على التصرف في المخلوقات، وانفراده بصفات العظمة والعزة والكمال، فالله هو القادر، وهو السميع والبصير... ، حيث وجهت هذه العاملية ،لخدمة الهدف العام لسور الحواميم، المتمثل في الجانب الدعوي، حيث أنها تدعو إلى تخصيص الله وحده بالقدرة المطلقة، والمتصف وحده بصفات العظمة والكمال، المؤدية إلى أحقية الله وحده بالعبادة.

3-حجاجية القصر ب (الـ) الموصولية في سور الحواميم

إن(الـ) الموصولية هي التي بمعنى (الذي) إذا اتصلت باسم فاعل أو اسم مفعول[2] كما قد تتصل بالصفة المشبهة أو بالفعل أحيانا ومثال القصر ب(الـ) الموصولية: الله المستعان ،فقد قصر الإعانة لله فلا نطلب عون غيره.

وقفنا على عاملية القصر ب(الـ) الموصولية، في سور الحواميم في عشر(10) مواضع، بنسبة قدرها 12.5٪، من مجموع العوامل الحجاجية الموظفة في هذه السور، وهي موزعة على السور حسب الجدول التالي :

السور	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف
عدد(الـ)الموصولية	4	2	1	1	0	1	1
النسبة	٪40	٪20	٪10	٪10	٪0	٪10	٪10

وظفت عاملية القصر ب (الـ) الموصولية، في أعلى نسبة لها في سورة غافر، حيث تكررت أربع (4) مرات، بنسبة قدرت ب40٪، وقد وظفت في هذه السورة لخدمة غرض

[1] ينظر محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ،ج320/25
[2] لزهر كرشو ،تقانة التحليل الحجاجي للخطاب ، ص 80

السورة خاصة، وسور الحواميم عامة ،المتمثل في قلب مفاهيم المخاطَب، فغير الله المتصف بصفات العزة والكمال، لا يمكن أن يكون عزيزا متصرفا في ملكه، أو أن يكون خالقا عالما بأحوال خلقه، كما وظفت (الـ) الموصولية لتأكيد وحدانية الله، فقوم الرسول ﷺ (قريش)، لا ينكرون وجود الآلهة، لكنهم يعددونها، وينكرون الإله الواحد، أي وجود الله الواحد القهار، العزيز العليم، المتصف بصفات العظمة والكمال، لذلك وظفت (الـ) الموصولية، في سورة غافر، كحجة على وحدانية الله، وقدرته في التصرف في أحوال الأكوان .

كما وقفنا على (الـ) الموصولية في موضعين (2) في سورة فصلت ،بنسبة 20٪، وفي موضع واحد (1) في سور الشورى والزخرف والأحقاف بنسبة 10٪ لكل منها.

ولقد سجلنا انعدام توظيف (الـ) الموصولية في سورة الدخان، بنسبة قدرت ب0٪ من هذه العاملية بالنسبة إلى السور الأخرى، وذلك قد يعود لكون هذه العاملية لا تخدم غرض السورة، كتصوير حال قوم فرعون، وما حل بهم من عقاب نتيجة انكارهم، وانذار قريش من أن يكون مصيرهم، كمصير غيرهم من الأقوام التي سبقتهم فيحل عليهم غضب الله، ووصف الأحوال لا يناسب القصر ب(الـ) الموصولية، إذ أن عقاب الله ليس مخصوصا بقوم دون عيرهم ، وإنما يوقع الله عقابه وغضبه على كل الأقوام التي تنكر دعوى رسل الله ، وتنكر الوحدانية لله ، بعد محاججتهم بالأدلة العقلية والحسية.

3-1-نماذج تطبيقية لعاملية القصر ب(الـ) الموصولية في سور الحواميم

قوله تعالى : ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾ [غَافِر : 12] قصرت (الـ) الموصولية صفتي العلو والكبر على الله وحده؛ ونفيها عن غيره من الشركاء، أي أن القضاء لله وحده لا للأوثان والأصنام ،ولا سبيل لنجاتكم لأن الله وحده الذي له العلو والكبر على خلقه ،العظيم في ملكه الذي يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد[1]، والقصر ب(الـ)

-الموصولية حجة ،نتيجتها : تأكيد القدرة المطلقة لله وحده؛ والتوجيه الحجاجي :التحذير من عاقبة الكفر بالله والشرك به.

[1] محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسير تفسير للقرآن الكريم ، ص88

-وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فُصِّلَت: 12]؛ أي ذلك المذكور من الخلق والإبداع، هو صنع الله العزيز في ملكه، العليم بمصالح خلقه[1] ،الذي له العزة ، والذي له العلم، وهو قصر العزة، والعلم لله وحده دون سواه؛ وهي حجة نتيجتها بيان قدرة الله وعظمته؛ والتوجيه الحجاجي :الدعوة إلى الإيمان بالله وجده، وشكره على نعمه بينت الآية دلائل قدرة الله وعظمته، وقد ساهمت في خدمة المقصد العام لسور الحواميم، وهو بيان قدرة الله وعظمته لتكون حجة على أن الله وحده القادر على خلق الأكوان وتسييرها، والتصرف فيها، لذلك فالله وحده الأحق بالعبادة على خلقه .

-وظف الله عز وجل؛ عاملية القصر ب(الـ) الموصولية، وهو حجة ،والآية التالية تبين ذلك: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾ [الشُّورَى : 3].

قصر الله في هذه الآية صفة العزة لله وحده، وقصر كذلك صفة الحكمة عليه وحده، وذلك بتوظيف (الـ) الموصولية، وهو حجة، نتيجتها بيان مصدر القرآن الكريم، التوجيه الحجاجي الدعوة إلى الإيمان بأن القرآن، كتاب أوحى به الله تعالى، على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ.

كما جاءت عاملية القصر ب(الـ) الموصولية، وكان ذلك في بداية سورة الجاثية وسورة الأحقاف، حيث يقول تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ [الجَاثِيَة : 2]، ونفس الآية في الأحقاف ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ [الأَحْقَاف:1- 2] أي أن القرآن، كتاب غالب لمعانديه، والحكيم، فهو مشتمل على دلائل الحقيقة واليقين؛ وذلك لإعجازه[2]، وتظهر (الـ) الموصولية التي بمعنى الذي، أي الذي عزيز، والله الذي حكيم، فأفادت الآية معنى القصر وهو حجة؛ نتيجتها بيان مصدر القرآن الكريم؛ أما التوجيه الحجاجي فهو الدعوة إلى الإيمان بأن القرآن الكريم، كتاب الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

(1) ينظر محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير ،ج230/24
(2) نفسه ،ج326/25

والملاحظ أن عاملية القصر ب(الـ) الموصولية؛ حجة وظفت في سور الحواميم، لتؤكد مظاهر قدرة الله وعظمته، الدالة على وحدانية الله، وأحقيته وحده بالعبادة، للتأكيد على مقاصد سور الحواميم، وخاصة مصدر القرآن الكريم وقدرة الله وعظمته، كما وجهت لتحقيق الجانب الدعوي، المتمثل في الدعوة إلى التوحيد، وتخصيص الله وحده بالعبادة ،وإلى التدبر في آيات الله الكونية، هذا التدبر المؤدي إلى إقناع المتلقي بعظمة الله وقدرته، المتصف بصفات العظمة والكمال، فالله العزيز في ملكه ،العالم بأمور خلقه ،المسير لأحوال عباده لذلك كان على الناس الإيمان بأحقيته بالعبادة .

4-حجاجية القصر ب (إنما) في سور الحواميم

هي أم طرق القصر وهي بعبارة النحاة القدامى متمحظة له وحكر عليه إذ يقول الجرجاني: « اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره فإذا قلت :إنما جاءني زيد؛ عقل منه انك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمر إلا أن لها مزية وهي أنك تعقل معها مع إيجاب الفعل للشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة في حال واحدة (...) ومزية ثانية وهي أنها تجعل الأمر ظاهر أي أن الجائي «زيد» ولا يكون هذا الظهور إذا جعلت هذا الكلام بلا»[1].

و(إنما) تتضمن معنى (ما) و(إلا) ،وهي تأتي اثباتا لما يذكر بعدها ونفيا لما سواه ،لأن قصر الصفة على الموصوف أو العكس ليس إلا تأكيدا للحكم.

وعاملية القصر ب(إنما) آلية تدفع اعتقاد السامع بيقين المتكلم ،ويوضح عبد القاهر الجرجاني بقوله : «فإذا قلت إنما جاءني زيد ،لم يكن غرضك أن تنفي أن يكون قد جاء مع زيد غيره ؛ولكن أن تنفي المجيء الذي قلت إنه كائنه كان من عمرو»[2].

رصدنا القصر ب(إنما) في سور الحواميم في خمس (5) مواضع ، من سور الحواميم، بنسبة قدرها 6.25٪ من مجموع أدوات القصر في هذه السور، وهذه النسبة الضئيلة، قد تعود لخاصية القصر ب(إنما)، فهي تكون في الأمر الذي يعلمه المخاطَب، ولا يشكك فيه، وهذه الخاصية لا توافق حال المخاطبين في هذه السور، ولا تناسب غرض السور المكية،

(1) الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ،دلائل الإعجاز ،ق وت محمود محمد شاكر ، د ط ،دت ص216
(2) أنفسه ، ص 216

المتزامنة مع بداية الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالله وحده، وهي أمور ينكرها قوم الرسول ﷺ ، ويشككون فيها، ويدفعون صحتها، بل ويجادلون فيها .

وقد وزعت عاملية القصر ب(إنما) حسب الجدول التالي :

السور	غافر	فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف
عدد(إنما)	1	1	1	0	1	0	1
النسبة	٪20	٪20	٪20	٪0	٪20	٪0	٪20

من خلال الجدول نلاحظ أن عاملية القصر ب(أنما)، توزعت بالتساوي على السور التالية: غافر، وفصلت ،الشورى، الدخان والأحقاف، حيث اشتملت كل منها على عاملية واحدة، بنسبة 20٪ لكل سورة، وهذا ربما يعود لكون مواضيع هذه السور، كمصدر القرآن الكريم، والبعث، والرسالة ،والعقيدة ...، وغيرها من المواضيع التي تتناولها السور المكية، وهي أمور تنكرها قريش وتجادل النبي ﷺ في صحتها، ولتأكيد حجة القرآن الكريم وإعجازه، وصحة الرسالة. كان من اللائق الابتعاد عن محاججتهم بما لا يناسب أفكارهم، وأحوالهم، فلم يوظف من الأدوات إلا التي تناسب أفكارهم ولغتهم، فسور الحواميم كما ذكرنا هي سور مكية تتناول أسس العقيدة ،وتمثل البدايات الأولى لعقيدة التوحيد ، وتدعوهم إلى معتقدات يجهلها المخاطب هذه الأمور، لذلك كان توظيف القصر ب(إنما) قليل في هذه السور.

كما سجلنا غياب كلي ل(إنما)، في سورتي الزخرف والجاثية ،والتي يدور محورهما في أسس العقيدة الإسلامية، وأصول الإيمان، والرسالة والبعث والجزاء ،وخاصة إثبات وحدانية رب العالمين[1]، وهي أمور ينكرها المخاطب، ويدفع صحتها، ويشكك فيها، فقريش تنكر الإله الواحد ،وتشكك في رسالة النبي ﷺ ،وفلم يكن من المناسب استعمال (إنما).

[1] محمد علي الصابوني صفوة التفاسير تفسير القرآن الكريم ، ج167/3

4-1- نماذج تطبيقية لـ عاملية القصر ب(إنما) في سور الحواميم

قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾ [غَافِر : 39] ،هنا قصر موصوف على صفة، أي لا صفة للدنيا، إلا أنها متاع مؤقت[1] والقصر ب(إنما) في هذه الآية حجة، النتيجة: بيان أن متاع فرعون في الدنيا مؤقت، التوجيه الحجاجي: دعوة المؤمن قومه إلى عدم اتباع فرعون، والإيمان برب موسى، ولما كان متاع فرعون في الدنيا معروف عند قومه ، جاء الله تعالى في الآية بالقصر ب(إنما).

- وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦﴾ [فُصِّلَت : 6].

وفي هذه الآية صيغة القصر الإضافي ؛ أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، مقصور على البشرية دون التصرف في قلوب الناس ؛ وهي حجة ؛نتيجتها بيان مصير المشركين بالله، والتوجيه الحجاجي الدعوة للإيمان بأن الرسول ﷺ، بشر اصطفاه الله بالوحي وبالرسالة.

- في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢﴾ [الشُّورَى : 42]، وهنا نفي السبيل عن الذين انتصروا بعد ظلمهم ،وإثبات السبيل على الذين يظلمون الناس، والقصر ب (إنما) حجة ؛ نتيجتها بيان مصير الظالمين ،التوجيه الحجاجي: التحذير من عاقبة الظلم والبغي في الأرض بغير حق.
- كما جاء في سورة الدخان ،عاملية القصر ب(إنما) وذلك في قوله تعالى:
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨﴾ [الدُّخَان : 58]

وهو قصر قلب ؛وهو رد على المشركين، إذ قد سهل لهم طريق فهمه بفصاحته وبلاغته[2] فقابلوه بالشك، والقصر ب(إنما) حجة، نتيجتها: بيان الحكمة من إنزال القرآن ،ونبوة النبي

(1) محمد الطاهر بن عاشور ،تفسير التحرير والتنوير ،ج149/24
(2) نفسه ، ج321/25

صلى الله عليه وسلم .أما التوجيه الحجاجي الدعوة إلى الإيمان بأن القرآن كتاب منزل من الله عز وجل ؛ وهو معجزة النبي محمد ﷺ.

- قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٣﴾ [الأَحْقَاف : 23]

في هذه الآية نفي العلم بوقت العذاب لغير الله تعالى ،والقصر ب(إنما) ؛عاملية حجاجية نتيجتها بيان تفرد الله بعلم وقت وقوع العذاب على القوم ،التوجيه الحجاجي دعوة هود قومه لعبادة الله وحده ،وتحذيرهم من عاقبة الشرك.

رغم قلة ورود القصر ب(إنما)، لكنها ساهمت في بناء النسيج الحجاجي لسور الحواميم ، حيث بينت الطابع الدعوي لهذه السور، وكذلك صدق الوحي، والرسالة، وهي من المواضيع التي تناولتها السور المكية بصفة عامة وسور الحواميم بصفة خاصة.

عـــاملية القصر في سور الحواميم

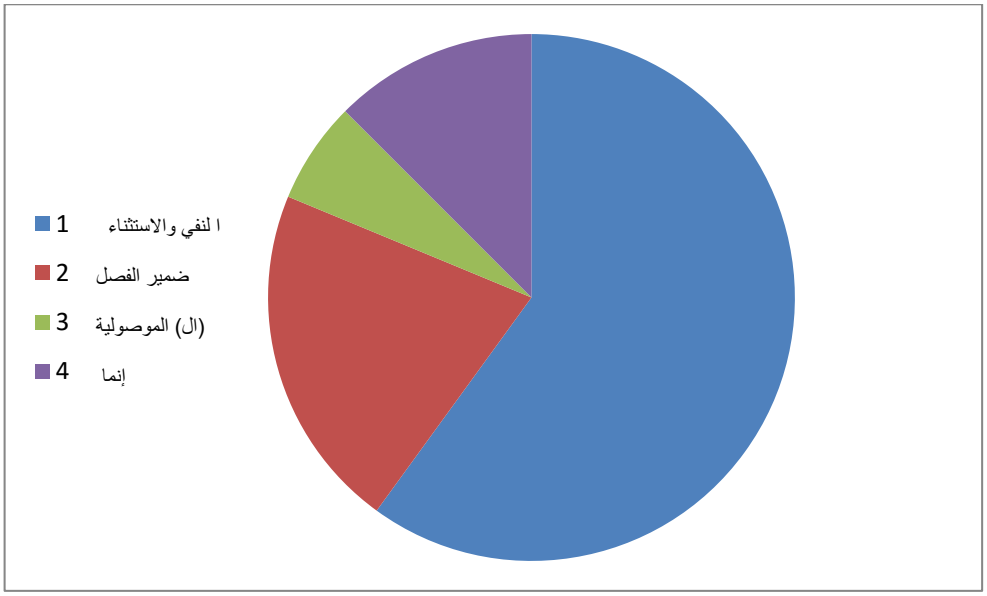

بعد رصدنا لعاملية القصر في سور الحواميم، ودورها الحجاجي؛ لاحظنا تضمن سور الحواميم عاملية القصر، التي تكررت ثمانين(80) مرة، بنسبة قدرها30.07 ٪ من العوامل الحجاجية المدروسة، من بينها ثمانية وأربعين (48) نفيا واستثناء ،وسبعة عشرة (17) قصرا بضمير الفصل ،وعشرة(10) قصرا ب(ال) الموصولية ؛ وخمسة (5) قصرا ب(إنما) .

من خلال هذه النتائج نلاحظ ،توظيف عاملية القصر بالنفي والاستثناء في سور الحواميم؛ أكثر من الصرافم الحجاجية الأخرى (ضمير الفصل الـ الموصولية ،إنما) ،وذلك ربما يعود إلى خاصية القصر بالنفي والاستثناء؛ الذي يوظف عند كون المتلقي ينكر أو يشكك في الأمر الذي يعرضه المتكلم ،وهو ما يناسب أغراض سور الحواميم ، التي أغلبها تؤكد ؛إعراض المشركين والمجادلين والمنكرين للبعث ، ولدعوة النبي صلى الله عليه وسلم. وبيان إنكارهم وعنادهم ، فكأن الله عز وجل كان ينفي مزاعم المشركين ويدحض حججهم ،ويثبت أحقيته بالعبادة ،ببيان الأدلة الكونية المادية والمعنوية ،وكذلك لأن من الأصل في أسلوب القصر هو استعمال النفي والاستثناء .

كما لاحظنا نقصا في توظيف عاملية القصر ب(إنما)، رغم كونها من أصل أساليب القصر في العربية ؛وذلك لكونها لا تناسب حال المخاطبين في سور الحواميم، وخاصة وأنها كانت في بداية الدعوة إلى التوحيد ، وتخاطب قوم قريش والناس كافة بأمور ومعتقدات جديدة لا يعرفون عنها شيئا ، ولا يسلمون لصحتها بل شككوا فيها وعاندوا في إنكارها .

وقد رصدت عاملية القصر ب(إنما) في خمس مواضع من الحواميم ؛وعدم ورودها في سورتين وهما سورة الزخرف والجاثية ،لأن المخاطب لا يعلم الأمور التي يخاطب بها.

ومن حيث التوجيه الحجاجي ؛لاحظنا غلبة الجانب الدعوي، لكون سور الحواميم تدعو إلى التوحيد وتثبيت دعائم الإيمان ،والرسالة ، والوحي ، والبعث، والجزاء والعقاب هذا التوجيه الحجاجي لعاملية القصر، ساهم في خدمة الغرض العام للحواميم ،كما أبرز الوظيفة الحجاجية للغة.

ومن حيث الحجج لاحظنا، غلبة الحجج الحسية الدالة على آيات الله الكونية ؛كخلق السماوات والأرض ،وخلق الإنسان (ذكورا وإناثا)، وخلق المخلوقات، وخلق الليل والنهار ،والماء..، وذلك لكون الأدلة الحسية المادية المرئية ؛أقوى حجة وأكثر تأثيرا في المتلقي، المؤدية إلى إقناعه بصدق أدلة المحاجج.

تركزت جل أساليب القصر في السور الثلاثة الأولى وهي غافر ؛فصلت؛ الشورى، فقد سجلنا أعلى توظيفا لعاملية القصر ،بأدواته المدروسة في البحث ؛في سورة

غافر، حيث رصدنا ثلاثا وعشرين (23) عاملية ، فكانت نسبته 28.75٪ ، ثم وظفت بقية السور أساليب القصر بنسب متفاوتة ،إذ انعدمت عاملية القصر ب(إنما) في سورتي الزخرف والجاثية ، كما لاحظنا غياب عاملية القصر ب(ال) الموصولية في سورة الدخان .ولقد كان لتوظيف أدوات القصر ؛ وظيفته الحجاجية في سور الحواميم حيث اعتبرت حجج لخدمة الأغراض العامة لسور الحواميم ؛من جهة ؛ولإبراز الوظيفة الحجاجية للغة من جهة أخرى .

وما يمكن ملاحظته هو توفر سمات الخطاب الحجاجي في خطاب سور الحواميم، وخاصة القصد المعلن، وذلك لأن هذه السور جاءت لتغير معتقدات فاسدة ؛كانت سائدة في قريش ،وإقناعهم بتغييرها بمعتقدات جديدة، كالإيمان بالله الواحد وبالقرآن الكريم الذي جاء معجزا لكل العرب، كما تظافرت السمات الأخرى لخدمة هذا القصد ،إذ نجد التناغم، الذي يظهر من خلال توظيف أساليب متنوعة كالنفي والشرط والقصر حسب ما يقتضيه السياق، والبرهنة وذلك بتوظيف الحجج الدامغة، التي تنوعت بين الحسية والمعنوية ،وإن غلب عليها الطابع الحسي الأكثر تأثيرا وإقناعا للمتلقي .

والانتقائية التي تبرز من خلال انتقاء الأدوات الأنسب والأنفع حسب حال المخاطبين ، والتي بها يحصل الإقناع والإذعان.

خاتمـــــــــــة

خاتمة:

كان الهدف العام لهذه الدراسة هو الوقوف على أهم العوامل الحجاجية في سور الحواميم،وبيان توجيهها الحجاجي ودورها في الكشف عن حجاجية اللغة فيها ، وبعد هذه الرحلة البحثية توصلنا إلى عدة نتائج نستخلصها فيما يلي :

- العوامل الحجاجية ؛هي أدوات لغوية ،تؤدي وظيفة حجاجية ؛قصد الوصول بالمتلقي إلى الاقتناع بدعوى المخاطب .
- الخطاب القرآني في سور الحواميم، خطاب حجاجي بامتياز؛ لتوفره على سمات الخطاب الحجاجي ،وخاصة القصد المعلن ،حيث يقصد من خلاله عز وجل ؛إقناع الناس بالدين الإسلامي واعتناقه والانتقائية التي تظهر من خلال انتقاء الأدوات اللغوية المناسبة لتحقيق غاية الإقناع.
- سور الحواميم هي سبع سور مكية في الثلث الأخير من القرآن الكريم تبدأ ب (حم) ، وتسمى بـ(آل حاميم)، ولها عدة تسميات منها عرائس القرآن ،ولباب القرآن، وديباج القرآن، وهي غافر ؛وفصلت والشورى ،والزخرف ،الدخان ،والجاثية والأحقاف .

– أن النسيج الحجاجي الذي تضمنته هذه السور جعلها في تقدير السورة الواحدة، فكانت لوحة ربانية حكيمة متسقة الأجزاء ،متناسقة الموضوعات .

- من المقاصد المشتركة لسور الحواميم: بيان مصدر القرآن الكريم ،بيان جدال الكافرين وانكارهم للبعث ،وبيان قدرة الله وعظمته.
- تتوفر سور الحواميم على عوامل لغوية ؛تؤدي وظيفة حجاجية كالنفي والشرط والقصر ،فقد وظف الخطاب القرآني؛ في هذه السور عاملية النفي لإبطال حجج المشركين ونقض معتقداتهم الفاسدة ، والشرط على بيان أن الجزاء من جنس العمل ، فالمؤمن يفوز بالجنة والمشرك يهلك في النار ،ليأتي القصر ليخص الله وحده بالعبادة ولإبطال حجج المشركين وبيان خطأها ، واتصاف الله وحده بصفات العظمة والكمال .
- أن النفي أسلوب نقض وإنكار يستخدم لإزالة ما يتردد في ذهن المخاطب، وهذا ما لمسناه في هذه السور، من خلال تقصي مواضعه و بيان حجاجيته ،حيث وردت عاملية النفي في مائة وثلاثة (103) موضعا من سور الحواميم بنسبة قدرها 38.72 ٪، وأكثر أدوات

النفي استعمالا في سور الحواميم هي (لا) بنسبة 53.39٪ من أدوات النفي الأخرى و(ما) بنسبة 33.98٪.

- أن اقتران النفي بحرف الجر أو النكرة في هذه السور مثّل موجه حجاجي أكسب الملفوظ المنفي شحنة حجاجية خدمت مقاصدها لتوجيه السامع إلى نتيجة معينة.
- أسلوب الشرط فعل الشرط فيه يكون تحفيزا أو ترغيبا للوصول إلى النتيجة.
- مثل الشرط في السور موضوع الدراسة عاملية حجاجية كان لها دور فعال في خدمة المقاصد العامة لها فقد وظف في ثلاث وثمانين (83) موضعا بنسبة 31.20 ٪ من العوامل الحجاجية الأخرى .
- أكثر أدوات الشرط توظيفا كانت (إن) بنسبة 32.53 ٪ و (إذا) بنسبة21.68 ٪ و(من).
- القصر أسلوب خبري له مكانة عظيمة في اللغة العربية ؛عني بدراسته علماء اللغة وعلماء البلاغة ، وله وظيفة حجاجية في إبراز مقاصد وأغراض سور الحواميم ، وليبرز الوظيفة الججاجية للغة.
- من الأدوات الأصل المستعملة في اللغة العربية ، لتؤدي وظيفة القصر ؛النفي والاستثناء الذي يوظف عند جهل المخاطب أو تشكيكه في الأمر الذي يعرضه المتكلم؛ لذلك كان توظيفه أكثر في سور الحواميم ، وعلى وجه التحديد القصر ب(إنما) وهي حكم إثبات لشيء والنفي عن غيره دفعة واحدة ؛الذي يوظف عند علم المخاطب بما يعرضه المتكلم.
- وظف القصر سور الحواميم ثمانين(80) مرة ، بنسبة30.07٪ من العوامل الحجاجية الأخرى ، وكان لعاملية القصر بالنفي والاستثناء الأكثر توظيفا بنسبة 60٪ من أدوات القصر الأخرى وذلك لأنها تناسب حال المخاطبين في هذه السور.
- من الملاحظ أيضا قلة ورود القصر ب(إنما) حيث ورد في خمس (5) مواضع بنسبة 6.25٪ في سور الحواميم ، وذلك لعدم مناسبتها لحال المخاطبين في هذه السور.
- أن توظيف أسلوب النفي والشرط والقصر في سور الحواميم كان مكثفا في السور الأولى وكأنها بداية المجادلة وتقديم أكبر عدد من الحجج لإقناع المتلقي، ثم تراجع ذلك في

السور الأخيرة وكأنها إعلان عن النهاية، فلا جدال ولا تحاجج ، بل هناك جزاء من جنس العمل، مما يثبت أن هذه السور متكاملة فيما بينها.

- اتسام الحجج القرآنية في سور الحواميم بخصائص تجعلها تخاطب العقل والقلب معا ،فهي شاملة كاملة وقاطعة للشك، وقد توفرت الحسية منها والعقلية حسب ما اقتضاه المقام .
- مسلك الخطاب القرآني في سور الحواميم في إثبات التوحيد ،النفي والاثبات معا، نفي استحقاق الإلهية لغير الله تعالى وإثباتها له وحده، ونفي عقائد فاسدة، وإثبات أخرى بديلة لها.

لقد كان لعاملية النفي والشرط والقصر في سور الحواميم دور هام في إكساب هذه السور طاقة حجاجية لجعل المتلقي يذعن لما يطرح عليه، والكشف عن الوظيفة الحجاجية للغة.

وقد شد انتباهنا ظواهر لغوية أخرى تستحق الدراسة، وتصلح أن تكون موضوع بحث مثل: «سمات الخطاب الحجاجي في القرآن الكريم من خلال سور الحواميم» أو «حجاجية المفردة في الخطاب القرآني من خلال سور الحواميم»أو النفي الضمني في سور الحواميم و توجيهه الحجاجي"

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفينا كل عاملية من العوامل المدروسة حقها من التقصي، وإبراز وظيفتها الحجاجية في سور الحواميم، وإن كانت كل عاملية تحتاج إلى بحث خاص لدراستها، ولكن حاولنا أن نلم بجوانب الموضوع فإن وفقنا؛ فتوفيقنا من الله وحده، وإن أخطأنا فمن الشيطان ومن أنفسنا .

والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم (مصحف المدينة)

المصادر والمراجع:

أ. الكتب:

1.إبراهيم بن عمر البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ت: عبد السميع محمد أحمد حسين، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1987.

2.أحمد بن إبراهيم الثقفي، البرهان في تناسب سور القرآن، تج: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، ط1،(د.ت).

3.إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير ابن كثير، مكتبة الصفا ، القاهرة،ط1-2004.

4.أكرم عبد خليفة الدّليمي، جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته)، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان،ط1-2006.

5. الزركشي بدر الدين بن عبد الله الزركشي ،البرهان في علوم القران ،تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث،القاهرة،ط3، 1984.

6. البقاعي برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995.

7.أبو بكر العزاوي ،اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ،ط1 /(1426هـ/2006م)

8.أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي ،دلائل الإعجاز ،ق وت محمود محمد شاكر ، د ط ،دت .

9. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. درج الدرر في تفسير القرآن العظيم، تح: طلعت صلاح الفرحان ومحمد أديب شكور، دار الفكر، عمان، بيروت، ط1، 2009.

10. جلال الدين أبو عبد الرحمان السيوطي، أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ،لبنان ،ط1-2002م.
11. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ،تح: عبد الله المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث العربية الإسلامية و عبد السند حسين يمامة، القاهرة ،ط1.
12. جلال الدين السيوطي، مراصد المطالع في مناصب المقاطع والمطالع، قرأه وتممه عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط1.
13. أبو الحسين أحمد ابن فارس بن زكريا ،معجم مقاييس اللغة ،تح عبد السلام محمد هارون ج2 ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،د ط (1399هـ/1979م).
14. حمادي صمود (إشراف وتنسيق)،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،جامعة الآداب والفنون والعلوم الانسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس،(د.ط)- (د.ت)
15. سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط2-2001
16. أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان(د.ط)، (د.ت).
17. شكري المبخوت ،إنشاء النفي وشروطه النحوية الدلالية، مركز النشر الجامعي ،تونس ط-2006.
18. طه عبد الرحمان ،اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1998 م .
19. عبد اللطيف عادل ،بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات ضفاف ،بيروت، لبنان،ط1-2013.

20. عبد الله صولة ،الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،دار الفرابي ،بيروت لبنان، ط2 ،2007 م.

21. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكلياني للنشر، ط1،2011.

22. أبو عبد الله محمد بن أحمد بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، 2006.

23. عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004.

24. عز الدين الناجح ،العوامل الحجاجية في اللغة العربية ،مكتبة علاء الدين ، تونس ،ط1،2011

25. الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ،معجم التعريفات،،تح : محمد الصديق المنشاوي ،دار الفضيلة (القاهرة) ، دط ، د ت

26. فارس محمد عيسى، في النحو العربي أسلوب في التعليم الذاتي ،دار البشير للنشر والتوزيع ،عمان، الأردن، 1994

27. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000

28. أبو الفضل البغدادي شهاب الدين اسيد محمد الألوسي، روح الهاني في التفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح، سيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة، (د–ط)، 2005.

29. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ،لسان العرب ،نشر أدب الجيزة (ايران) 1405هـ.

30. ابن منظور :محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري لسان العرب ، تح : عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم الشادلي ،دار المعارف (القاهرة) ط1 1119 هـ

31. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التآويل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2009 .

32. القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير القرآن الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
33. لزهر كرشو ،تقانة التحليل الحجاجي للخطاب ، مطبعة الرمال، الوادي، الجزائر، .د ط 2020 .
34. أبو الليث بن نصر بن محمد السمرقندي ، تفسير السمرقندي المسمى، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1993 .
35. مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكية ،كلمة للنشر والتوزيع ،ط1، 1436هـ/2015 م.
36. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، تح: التراث في مؤسسة الرسالة ،مؤسسة الرسالة ،لبنان، ط8، 2005.
37. مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.
38. محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن نزوله–كتابته–جمعه–إعجازه–تفسيره، دار الفكر العربي (د.ط).
39. محمد أبو موسى ،آل حم الجاثية –الأحقاف دراسة في أسرار البيان، مكتبة وهبة ، القاهرة، ط1،2001.
40. محمد الأنطاكي ،المحيط في أصوات اللغة ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت ، لبنان، (د..ط، د.ت) .
41. محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1،1981.
42. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس، 1984.

43. محمد بن علي التهانوي ،كشاف اصطلاحات الفنون، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ، بيروت، ط1،1996.

44. محمد بن يوسف الشهير بأبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

45. محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة 2003.

46. محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة ، دار الفرقان، ط1،1985.

47. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، تفسير القرآن الكريم، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1، 2001.

48. محمد محمد أبو موسى ،آل حم الجاثية – الأحقاف–دراسة في أسرار البيان، مكتبة وهبة، القاهرة ، مصر، ط1، 2011.

49. مهدي المخزومي ،في النحو العربي نقد و توجيه، دار الرائد العربي ،بيروت لبنان ،ط2، 1986.

50. موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، صححه وعلق عليه جماعة من العلماء، إدارة الطباعة المنيرية، مصر ،(د.ط)،(د.ت).

51. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ،تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ،بيروت، لبنان، ط4،1987.

52. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ،مفتاح العلوم، ت نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)،ط2 ، (1407هـ /1987م).

ب. المنشورات والمقالات:

1. دردار بشير، واسمات التعدد الصوتي اللسانية ودورها الحجاجي النفي أنموذجا، مقال عن جامعة تيسمسيلت ،الجزائر ،(د.ت)

2. سفيان أمقران وحفيظة روابنية : تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة مقاربة لمشروع السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، مجلة اللسانيات مج 27 –العدد 2 تاريخ الاستلام 2012/12/5 تاريخ القبول 2012/05/6.

3. عبد القادر محمد المعتصم دهمان، أساليب الخطاب في القران الكريم ، مجلة الوعي الاسلامي ، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ،الكويت ط1–2015.

4. عائشة ويلايلا، الانسجام النظمي في القرآن، مجموعة الحواميم أنموذجا، مقال فرنيكا مجلة عالمية لبحوث القرآن، جامعة ملايا، ماليزيا، مجلد6، العدد 2، ديسمبر 2014.

5. عباس حشاني ،أبعاد النظرية الحجاجية ومظاهرها عند المفسرين وعلماء الأصول، مقال :جامعة محمد خيضر بسكرة

6. عبد الحليم بن عيسى ، مقال بعنوان : البيان الحجاجي في إعجاز القرآن ، سورة الأنبياء نموذجا ، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، العدد 2006/102

7. عبد الله علمي ، مقال بعنوان : سمات الخطاب القرآني دراسة في الأسلوب، جامعة القاضي عياض، المغرب، تاريخ الإرسال 2018/6/4، تاريخ القبول 2018/10/10.

8. المجلة العلمية للعلوم الانسانية ،مقال: المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية ،مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت ،المجلد24،العدد134،تاريخ النشر 30 يونيو 2016.

9. محمد الديسي الجزائري ومحمد فارح وعبد اللطيف حني، بحث بعنوان الشرط وأثره الحجاجي في الخطاب مقاربة تداولية حجاجية في مناظرة بين العلم والجهل،

مجلة لغة كلام، جامعة غليزان ،الجزائر: ت.إ2020/6/27، ت.ق 2020/12/11، ت.ن 2021/1/15

ج. الرسائل و الأطروحات الجامعية:

1. أطروحات الدكتوراه:

1. اسماعيل سيبوكر، أسلوب القصر في القرآن الكريم وآثاره النحوية، إشراف أحمد جلايلي ،أطروحة دكتوراه ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر) ،2014/2013.
2. بوسلاح فايزة ، السلالم الحجاجية في القصص القرآني ،مقاربة تداولية ، أطروحة دكتوراه في اللسانيات ، جامعة وهران 1 ، أحمد بن بلة.
3. عبد الرحمان فرهود جساس الزيرجاوي، سور الحواميم القرآنية دراسة في دلالة البنية والتركيب، أطروحة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها، إشراف فاخر هاشم سعد الياسري، جامعة البصرة العراق،(2012).
4. محمد اعرابي ،العلاقات الحجاجية في القرآن الكريم ،إشراف عبد الخالق رشيد ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة وهران (الجزار)، السنة الجامعية 2014/2013،

2. رسائل الماجستير:

1. أحمد محمد البيك ،تحليل جملة الشرط و بيان أثرها على المعنى التفسيري ،دراسة تطبيقية على سور(الأعراف، الأنفال، التوبة) ،رسالة ماجستير، إشراف: عبد السلام حمدان اللوح، غزة ، فلسطين، 2014.
2. توفيق جمعات ،النفي في النحو العربي منحى وظيفي تعليمي القرآن الكريم عينة، رسالة ماجستير ،إشراف مشري بن خليفة ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة، (س.ج2006/2005).

3.حياة دحمان ،تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف عز الدين صحراوي جامعة حمة لخضر باتنة . ،السنة الجامعية ،1433هـ-1434هـ/ 2012 م-2013 م

4. عبد العزيز الصالح المعيبد، الشرط في القران الكريم، رسالة ماجستير إشراف علي المحروس ناصف، جامعة القاهرة (1976)

5. محمود محمد حلوة، أسلوب الشرط في لزوميات أبي العلاء المعري(دراسة نحوية)، رسالة ماجستير، إشراف: فضل محمد النمس، جامعة الأزهر –غزة، فلسطين،(2018)

6. معين محمد رمضان يوسف ،تحليل جملة الشرط وبيان أثرها على المعنى التفسيري دراسة تطبيقية على سورتي المائدة والأنعام، رسالة ماجستير ،إشراف: عبد السلام حمدان اللوح، غزة–فلسطين (2015)

7.نسرين تومي ونورة بوالي، الحجاج والياته في الخطاب القرآني سورة النمل أنموذجا، مذكرة ماستر، إ.فاطمة الزهراء بوربونة ،جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل(2021/2020)

8. هداية عبد الرحمان محمد الميتاني، العلاقة بين المناسبات ومقاصد القرآن في سور الحواميم،إ.عودة عبد الله وسعيد ابراهيم دويكات، أطروحة ماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا ،جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين2020.

الفهـــــــــرس

الفهـرس

الموضوع	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
المقدمة	
المدخـل (الحجاج المفهوم والمجالات)	
أولا– المعنى اللغوي للحجاج:	07
1–الحجاج في المعجم العربي:	07
2. الحجاج في القواميس الأجنبية	08
ثانيا– مفهوم الحجاج اصطلاحا	08
1. الحجاج في المصطلح الغربي القديم	09
2. الحجاج في المصطلح الغربي الحديث	10
3. الحجاج في المصطلح العربي القديم	13
4. الحجاج في المصطلح العربي الحديث	15
ثانيا– مفهوم الحجاج اصطلاحا	18
ثالثا– الحجاج والخطاب الحجاجي	
1. موضوع الحجاج وأهدافه	18
2. عناصر الحجاج	19
3. مفهوم الخطاب الحجاجي	20
4. سمات الخطاب الحجاجي وضوابطه	20
رابعا– العوامل الحجاجية	22
1. تعريف العوامل الحجاجية	22
2. وظيفة العوامل الحجاجية	23
خامسا– حجاجية الخطاب القرآني	23
1. تعريف القرآن لغة واصطلاحا	23

2. تعريف الخطاب القرآني	24
3. مميزات الخطاب القرآني	24
4. أغراض الخطاب القرآني	25
5. حجاجية الخطاب القرآني	25
6. خصائص الحجاج القرآني	26
الفصل الأول سور الحواميم التعريف والمقاصد	
أولا– التعريف بالحواميم وأسباب نزولها	28
1. تسميات وفضل الحواميم	36
ثانيا– مقاصد الحواميم	38
1. المقاصد المشتركة	38
2. مقاصد القرآن في الحاميمة الواحدة	39
ثالثا– العلاقات بين الحواميم	41
رابعا– النسيج الحجاجي في سور الحواميم من خلال المقاصد	49
1. مصدر القرآن	49
2. بيان جحود الكافرين للتوحيد	51
3. بيان مظهر قدرة الله تعالى	54
4. بيان مصير المشككين بالوحي	58
5. بيان مصير المؤمنين في الدنيا والآخرة	60
6. بيان سنة الله في نصرة الرسل	62
الفصل الثاني: عاملية النفي	
1. مفهوم النفي لغة واصطلاحا	65
2. أنواع النفي	66
3. أدوات النفـي	67
4. الفروق الوظيفية بين أدوات النفي	68
5. دلالات النفـي	70
6. حجاجية النفي في سور الحواميم	72

الفصل الثالث: عاملية الشرط	
1. تعريف الشرط لغة واصطلاحا	94
2. أنواع الشرط	95
3. بناء جملة الشرط	97
4. أدوات الشرط.	99
5. عاملية الشرط الحجاجية	99
6. حجاجية الشرط في سور الحواميم	100
الفصل الرابع: عاملية القصر	
أولا– القصر: المفهوم –الأساليب –الأنواع	121
1. مفهوم القصر لغة	121
2. مفهوم القصر اصطلاحا	122
3. أساليب القصر	122
4. أقسام القصر وأنواعه	125
5. الفرق بين القصر بالنفي والاستثناء وإنما	126
ثانيا– حجاجية عاملية القصر في سور الحواميم	127
1. حجاجية النفي والاستثناء	128
2. حجاجية القصر بضمير الفصل	132
3. حجاجية القصرب(ال) الموصولية	135
4. حججاية القصر ب إنما	138
خاتمة	144
قائمة المصادر والمراجع	148
الفهرس	156

ملخص الدراسة:

تُعدّ العوامل الحجاجية من آليات الحجاج التي تُوظف في الخطاب فتكسبه شحنة حجاجية ،و هي عبارة عن عناصر لغوية أو صرافم تمنح الملفوظ توجيها حجاجيا للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها ، و من بينها النفي و الشرط و القصر .

وتتجلى وظيفة هذه العوامل في حصر الإمكانات في نتيجة معينة فتجعل المتلقي يذعن لما يطرح عليه من قضايا، و يقتنع بوجهة نظر المخاطب.

لذلك جاءت هذه الدراسة للكشف عن هذه العوامل في سور الحواميم من القرآن الكريم، وبيان مدى خدمتها للغرض العام لها، ودورها في إبراز الوظيفة الحجاجية للغة فيها.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، العوامل الحجاجية، الحواميم، سمات الخطاب الحجاجي، النفي، الشرط ، القصر.

Study Summary:

The argumentative factors are one of the mechanisms of pilgrims that are employed in the discourse and earn it a shipment of arguments, which are linguistic elements or tellers that give the word a pilgrim guidance to reach a specific result without others, including .negation, condition and minors

The function of these factors is to limit the potential to a certain result and make the recipient submit to the issues presented to him, .and be convinced of the point of view of the addressee

Therefore, this study came to reveal these factors in the surahs of Hawamim of the Holy Qur'an, and to indicate the extent to which they serve the general purpose of them, and their role in .highlighting the pilgrim function of the language in it

Keywords: pilgrims, argumentative factors, hovercraft, features of .argumentative discourse, negation, condition, minors